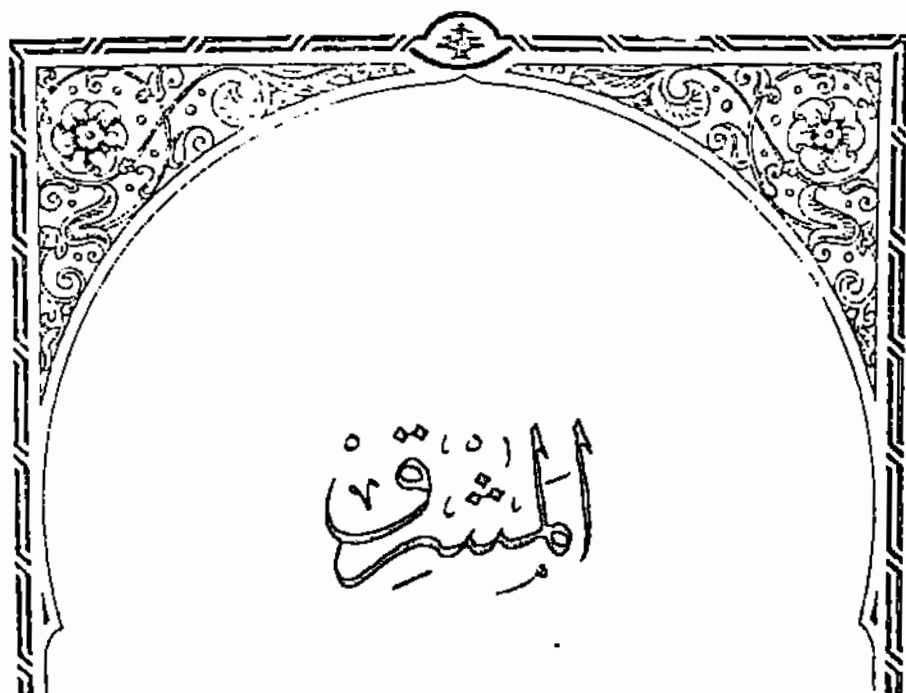




٣٥ - شاط ١٩٥٦

العدد الثامنة والأربعون

صحف الكتابة وصناعة الورق في الإسلام

بفلم حبيب زبوت

المقدمة

من افجع نكبات العلوم العربية في الشرق ضياع اكثر مؤلفاتها القديمة في الفتن والحروب المشرقية وتلفها بين السنة النيران وافواه المياه وكأن كل هذه الجوائح لم تكن كافية لتزيق شملها وتعطية آثارها حتى كانت تميز عليها ايضاً ايدي الجحالة من الباعة والتجار والنساء، وقد ندب عماد الدين الاصبهاني سوء حظ كتبه ومسوداته ومصيرها بعد وفاته الى الاسكاف والطار فقال :

هي كني وليسر نضلع من بد ي لبر العطار والاسكاف

هي اما مزود العطار فبر او بطن الخفاف

وكفى التركات العربية شقاء ان تثنى صحفها فتكون مزود لاسر وبهاتين

للخفاف والعصائب ثم نحل بها ايضاً نعمة الفياري من السماء . حكى ابن ابى
أصيمة قال :

« حدثني نسيب ارنق الدبر من المطران انه لما توفي كانت عنده مسودات عدة مصنفات
طبيّة وعبريّة وتعايق متفرقة فأخذ احواله تلك المسودات وصاعت بينهن وقال لي انه رأى
عند احدهن صندوقاً ارادت ان يطيّعه وقد الصفت في ماطه محلة من هذه الاوراق التي غطته^(١) »

وقال ايضاً في ترجمة الامير محمود الدولة ابى الوفاء المبشر بن فائق الآمري
الطبيب بعد ان وصف خزان كنه ودأبه في المطالعة والكتابة :

« كانت له زوجة كبيرة القدر ايضاً من ارباب الدواة فلا توفي رحمه الله نضت هي
وجوارها الى خزانة كنه وفي قلبها من الكتب وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه وفي
اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجوارها ثم شملت الكتب
بعد ذلك من الماء وقد عرق اكثرها . فهذا سبب ان كتب المبشر بن فائق يوجد كثير
منها وهو بهذه الحال^(٢) »

ولم لهذه الضحايا من اشباه ونظائر منسية .

وكان قديماً لكل خزانة في دور العلم وبيوت الحكمة وإيقاف الجوامع
والمدارس أثبات وجرائد ناطقة بما فيها من المصنفات مفصلة لتفاتها وتواردها
كال فهرس الذي كان في المدرسة النظامية مثلاً في بغداد . حكى احد من وقف
عليه بنفسه وهو شرف الدين ابو عبدالله محمد بن رضوان الحسيني المعروف
بالناسخ بإجماع فضل الله الصقاعي منه بدمشق في احد شهور سنة ستين وثمانية
(١٢١٧ م) انه وقف في المدرسة النظامية المذكورة على فهرست ما صُنف في
الدولة الاسلامية من سائر الفنون الى آخر ايام المستنصر في سنة تسع وثلانين
وسمائه (١٢٤١ م) قال والفهرست ستة وخمسون مجلداً^(٣) . فما الظن بما كان
بعد ذلك في سائر المدارس ومعاهد العلم وخزائن الخاصة على كثرتها وتفرقتها في
أهم المدن والاقطار . ومن اعتبر بما كان للبيروني وحده وقولاً يقول يا قوت ان
تصانيف البيروني في النجوم والميمنة والمنطق والحكمة تفوق الحصر وانه رأى
فهرستها في وقف الجامع بمر في ستين ورقة بخط مكتبة^(٤) يدرك مقدار ما

(١) عبون الانباء في طبقات الاطباء ١٨١:٢

(٢) عبون الانباء ٢١:٢

(٣) تاليف كتاب الايمان للصقاعي ٢٠٦١ باريس ٦٥

(٤) ارشاد الالاء لياقوت ٢١١:٦

تأليف من مؤلفات السلف والجدات وما كثرها من كثرها وفوائدها .
وفي مثل هذه الحال من ضياع المؤلفات وجراندتها وخسارة الجرائن وفجائدها
لم يبق لنا سبيل الى ان نعرف هل تقدم لاحد كتاب في تعريف صف الكتاب
وصناعة الورق في الاسلام . ومعلوم ان الكتب والرسائل الموضوعة في الحرف
والفنون كانت في كل عصر ومصر قليلة نادرة لان مثل هذه الاوصاف كانت
دائماً من اضييق الاغراض نطاقاً واعسرها مطلباً لما تقتضيه من المشاركة والتخصص
في معنى ما تفرق من اخبارها وما يحول دون الاحاطة باسرارها من عناء البحث
والاستطلاع وطول التفتيش والمراجعة . وهو ما لا يضطلع به الا من رُزق
حظاً كافياً من الجلد والصبر وتميز بحب العلم والافادة . ولذلك قات المصنفات
والشروح في تعريف العلوم والصناعات وانواع المعاشات واعرض الوراقون عن
الاهتمام بها وتوفير نسخها لزمع الطلاب والقراء في شرائها وتحصيلها وانصرفهم
عنها الى ما كان اعلق بدروسهم وامر بحاجاتهم كالكتب المختصة بالعلوم
الدينية واللسانية . فلا عجب اذا خفي علينا اليوم جل ما ازدانت به الحضارة
العربية من غرائب الفنون والحرف والتجارات .

ومن الاشارات التي انتهت اليها في شرح انواع الصناعات قديماً ما نقله
الصفدي في ترجمة شرف الدين ابن اسد المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين ار
سبع وثلاثين وسبعائة (١٣٣٧ - ١٣٣٦ م) انه « وضع كتاباً في مادة كتاب
ابن مولايم في الصنائع الا ان الذي لابن مولايم في خمسين صناعة والذي لابن
اسد في الف ومشتي صناعة ومنها مئتان تختص بالنساء . قال : وهذا عمل كثير
واستقراء عتيق^(١) . ولا محالة انه كان في هذين التأليفين ذكر اصناعة الورق
لتعددها وانتشارها قديماً في مدن الشرق ولعلنا لا نبعد عن الحق اذا قلنا ان
خسارتنا بضياع كتابي ابن اسد وابن مولايم تفوق كل خسارة اخرى لحلو ما
بأيدينا من العوض عنها . وانكأ ما في هذه الحسارة وادعاها الى التلهف والتحسر
جهلنا اليوم ما كان للنساء خصوصاً من انواع الاشغال والحرف وهي ادل على
ما بلغت الحضارة الشرقية من التفوق والكمال واعرب عما تقدم في الحياة الاجتماعية
من ضروب المعاش ووسائل الارتقاء .

وقد اعدنا كثيراً في التقيب والبحث وقلنا كل ما تناولته اليد من المطبوعات والمخطوطات في طراواها على دور الكتب في الشرق والغرب فلم نظفر إلا باستي كتابين فقط ورد فيها شيء من وصف صناعة الورق في الإسلام الأول كتاب « عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب » في صفة الحط والاقلام والليق والحبر والاصباغ وآلة التجليد الذي ألفه للامير المعز بن باديس ومنه نسخة مقيمة في المعهد العلمي في دمايط . ونسختان ناقصتان في دار الكتب المصرية وثالثة في الخزانة السيورية . ونسخ أخرى في الخزانة العربية في فينة . وهو الكتاب الذي ترجمه الى الألمانية وعلق عليه ونشره جوزيف ثون كراباتيک سنة ١٨٨٣ وضمته كل ما وسمه علمه من الفوائد في تاريخ الورق العربي^١ وغاية ما ورد فيه « الباب الحادي عشر في عمل الكاغد وتوشية الاقلام ونقشها وسقي الكاغد وتعتيقه » والكتاب الثاني مخطوط في الخزانة الآصفية بالهند لمحمد بن قوام المعروف بقاضي خان (٨٧٦ / ١٤٧١) دعاه المخترع في فنون من الصنع (كذا) وقد تفضل صديقنا الاستاذ كوركيس عواد بتصدير صفحات الباب الخامس منه وعنوانه « عمل الكاغد البلدي ووضع الاسرار في الكتب وما يحجر الدفاتر والرقوق » ولكن لسوء الحظ الفينا كثير التحريف وفي مواضع منه بياض غير قليل فلم نستفد منه الفائدة التي كنا نتوكلها .

وهناك اجزاء وورقات وضمت في ذكر القلم والليق والحبر كإرسالة التي قرأناها في دار الكتب المصرية وليس فيها ما يحتفل به ولها نظائر في الخزائن العامة والخاصة خلافاً لما تقدم في معناها ككتاب القام والدواة لمحمد بن عمر المدائني الذي اقتبس منه القلقشندي بعض اقواله في صبح الاعشى . ولا نشك انه قد قاتنا بضياعه فوائد شتى ان لم تكن في تفسير عمل الكاغد فلا محالة في اوصاف الورق وانواعه كالفصول التي وردت في مخطوط بارس (رقم ١٤٣٩) الموسوم غلطاً في رأينا بـ « ديان الانشا » وهي التي نقلناها في الكلام على الورق المصري والشامي .

ولما اخفق رجاؤنا ان نعثر على دفائن أخرى في شرح صناعة الورق والاستزادة

من وصفها اقبلنا على تصفح كل ما وقع الينا من كتب اللغة والانشاء والتراجم والسير والنوادر والمجاميع الادبية والاسفار التاريخية وقيدنا منها كل تصريح او تلويح الى القراطيس والكواغد واعمالها وانواعها واخبارها في الاسلام . وظللنا نعاين مشاق هذا الاستقراء الطويل عدة سنين حتى اعيانا المزيد . وضقت ذرعاً باكتشاف جديد ورأينا انه اجتمع لنا من هذه اللقط جانب ان لم يبلغ حد الكفاية ففيه على كل حال بلغة وغنا . في تاريخ الورق الشرقي فبدأنا على سبيل التمثيل بنشر فصول من مجموعتنا بعنوان « الجلود والرقوق والطروس » ظهرت في مجلة الكتاب في القاهرة (يولييه - تموز سنة ١٩٤٢ ص ١٣٥٨ - ١٣٦٦) ثم توقفتنا عن المزيد ريثما يتيسر لنا تفقد شيء من ماضي الكاغد وصناعته في الاندلس العربي وهو ما اقتضى دهرًا طويلاً لتعذر السفر اليه .

وقد رتبنا ما عثرنا عليه من الفوائد والشرارد والاشارات ترتيباً نزجوا ان نكون قاربنا فيه شاكلة الصواب واستعنا في كتابة ما اخترناه في تعريف البردي والبرديات والقراطيس بمؤلف العلامة جرهمان^١ في المجلد الاول منه الذي عربته بشاركة الدكتور حسن ابراهيم حسن في القاهرة سنة ١٩٣٤ . وقسنا الكلام على ما سبق ظهور الكاغد في اوائل الخلافة العباسية من مواد الكتابة تقسماً يحال لنا اننا احطنا باهم اجناسه واطلقنا على هذه المكاتب وبينها الحجر والحزف والعظام والجلود والثياب لفظه الصحف لان الصحيفة في اللغة تتناول كل ما يكتب فيه وقد وردت لذلك بمعنى الجلد في حكاية دعبل الشاعر المعروف قال :

« جاءني ابو سعد المخزومي يوماً بينداد اشد ما كان بيني وبينه من الهجاء وبين يدي صحيفة ودرة وانا اعجوه فيها . فامرت النلام برفع الدرة والجلد الذي كان بين يدي . فقال لي انا اليوم في دعوة عندك (وبعد أن أكل وشرب) ودعني واصرف وامرت غلامي فخرجوا معي الى الباب فاذا غلام منهم قد اصرف الى بقطة قرطاس (فيها بيتان هجاء لدعبل) فقال دعبل : وبلي على اين الفاعلة هاتوا جلداً ودرة . . فمدت الى هجائه^١ »

ومن اظهر الشواهد ايضاً على ورود الصحف بمعنى الجلود ما حكاه ابن المقفع عن الفرس وكتابتهم في الجلود البيض قال :

«كثرت ارسائل عيسى المال تُقرأ على الملك وهي يومئذ تكتب في صحف بيض وكان صاحب الخراج ياتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد انت فيها ما احتج به من الخراج وما اُفق في وجوه النفقات وما جعل في بيت المال فيجتمعا ويجريما . فلا كان كسرى بن هرمز نادى بروائح تلك الصحف واصر ان لا يرفع اليه صاحب ديوان حراجه مما يرفع الا في صحف مصفرة بازعتران وماء الورد وان لا تكتب الصحف التي تُعرض عليه بحلل المال الا مصفرة فتُعمل ذلك»^(١) - - - - -

وقد دعا ابو معشر البلخي مثل هذه المواد التي كان يُحيط فيها «المكاتب» اي ما يكتب فيه وهي اصح تسمية واكثر مطابقة ولكننا اخترنا العدول عنها لامكان التباسها بمواضع التعليم اليوم او مواضع كتابة الجند للحروب قديماً . ولا ريب انه شذ عنا كثير من اخبار الصحف واصناف عمل الكفاغد في الاسلام لقلة ما كتب عنها او لضياعه بيد الحوادث والغير وما نشرناه منها كاف على كل حال للدلالة على ما كان لهذه الصناعة والاتجار بها من القدر وجلالة الشأن وقد طبقت شهرتها آفاق المشرق وبقي لها الى اليوم آثار في مصطلحات كتاب المغرب .

١ - اللخاف والحزف

اللخاف حجارة بيض عراض رقاق واحدها لحفة وفي حديث زيد بن ثابت حين امره ابو بكر الخليفة الاول ان يجمع القرآن قال : فجعلت اتبعه من الرقاق واللخاف والعُصب^(٢) وفي صحيح البخاري قال زيد بن ثابت : فتنبعت القرآن اجمعه من العُصب والرقاع واللخاف وصدور الرجال^(٣) . ومن البديهي ان يكون اول ما عمد اليه الكتاب العربي لتسطير الكلام وتقييد الحواطر ما وقمت عليه عينه وتناولته يده من الحجارة البيض الرقاق العراض اللبس لهولة الخط عليها . واكثر ما كانت تستعمل في القرى والبوادي حيث يسهل وجودها واختيارها واماً في المدن والحواضر فكانوا يؤثرون عليها شفاف الحزف والفخار وما تكسر من صحاف الفخار والآنية . وكان الشافعي في جداته يتلقطها في جملة

(١) فتوح البلدان للبلاذري طبة ارونة ٤٦٤:٢

(٢) لسان العرب ١١: ٢٢٧

(٣) صحيح البخاري ٢: ١٦٢

ما يجعه من صحف الكتابة لتدوين الحديث وهو قوله بإسحاق بن سليمان :
لما خرجت من الكتاب كنت اتلظ الحرف^١ .

وكانت مثل هذه الكتابة على الحرف باقية في ايام الخلافة العباسية حتى بعد ظهور الورق السرقندي . ومن عزل عن ولايته بسببها ابراهيم بن المهدي اخي هرون الرشيد وكان وليا اماره دمشق فاشتهد يوماً شرب الصبوح وامر باغلاق ابواب « الحضراء » دار معاوية قديماً حيث كان يقيم عمال دمشق ولم تكن خربت بعد خلافاً لمن ظن انها زالت بزوال دولة الامويين « فحضر الكاتب وسأله بعض الختم ان يكتب له الى صاحب التزل وأعجله عن استخراج الدواة فأخذ فحمة وكتب في خزفة بجاجته فأخذ الحاجب سليم تلك الفحمة وكتب على الحائط « كاتب يكتب بفحمة وحاجب لا يبجل » واتفق ان وافي صاحب البريد وهو عين للخليفة يطالعه باخبار المهمل والولاة فكتب بذلك الى الرشيد وهو في مدينة الرقة ووصل اليه كتابه في اليوم الرابع فاعاد وقعه بصر الرشيد على الكتاب عزل اخاه ابراهيم وحبه مائة يوم^٢ .
ومن امراء العباسيين الذين كتبوا في الحرف قبل الخلافة عبدالله بن المعتز قال بعض من كان يخدمه :

« خرج يوماً بتقدمه ومعه ندماره وقصد الجديد وبستان الناعورة وكان ذلك آخر ايامه فأخذ خزفة وكتب عليها بالحر^٣ »

منياً لفضل زمانى ودهرى المحمود

ولى كيلة وصل قدام يوم صدور

قال وضرب الدهر ضرباته ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه حنياً وتحتته مكتوب :

أقبر لكل زمانى وعيشى المحمود

فارتق اعلى والفى وصاحبي وودودي

ومن هويت جفاني مطاوعاً لحمودى

يا رب موتاً والا قراحة من صدور^٤ »

(١) ارشاد الارب نياقوت ٢٦٦:٦ وناريخ ابن عساكر دار الكتب الظاهرية دمشق

٢٢٩٦:١٢

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي خزائن اكسفر Lond. Or. 244 fo 182-83

(٣) في الاصل المنبر « وكتب على الجص » والصواب ما اخترناه .

(٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن احمد الميايى ٢: ٤٤-٤٥

وكان صبيان المكاتب وبعض المتأدبين وطلاب الحديث يؤثرون هذه الصحف الحزفية الملس لتقيد ما يروق لهم أو يُكلى عليهم من الفوائد والجماعات. ومن أشهر الجرائد الذين كانوا يُقصدون للحصول على أمثال هذه الرقاع لتدوين ما يتعجبونه أو يقع اليهم من الاخبار والأشعار أو الغتاهية قبل أن يحترق الشعر حدث عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال :

« انا رأيت أبا النعمان وهو جزار يأتيه الأحداث والمتأدبون فيشتم اشعاره فيأخذون ما نكسر من الحزف فيكتبونها فيها »^(١)

ولم يذكر احد بأي قلم أو حجر في ما عدا الفحم والجص كان يكتب في اللخاف والحزف ولا سيما عند مفاجأة السماع ولعله كان لمثل هذه الصحف ادوات خاصة كاللؤلؤ الذي كان يكتب به على الألواح كما سيجي .

وفي داري الكتب والتحف الملكية في القاهرة وبعض المتاحف الادارية في فينة وبرلين وهمبرغ قطع معدودة من هذه الحزفيات العربية الجميلة . وكان بين انقاض قصر خربة مفجر شمالي اريحا التي نقلت الى دار التحف في القدس قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي « لعبدالله بن هشام امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلم عليك فاني احمد الله الذي لا إله الا هو » . وعثر في قصر الحير الغربي على قطعة من اللخاف كتب عليها « من هشام امير المؤمنين الى أبي العباس احمد »^(٢).

٢ - الكرب والسب

الكرب اصول السب، الغلاظ العراض التي ليس فتصير مثل الكف واحدها كربة^(٣) ومن أشهر من كتب الحديث على الكرب وملا منها ومن غيرها الجباب والجزار الامام الشافعي كما سيأتي من قوله .

والسب جمع عيب وهو جريد النخل اذا نُجِح عنه خوصه والسب من السف فويق الكرب لم ينبت عليه الخوص . . . ومنه حديث زيد بن ثابت :

(١) الاغانى طبة بولاق ١٢٦:٣

(٢) مجلة المجمع العلمي بدمشق (ايار - حزيران ١٩٦٢) ص ٢٢١-٢٢٥

(٣) لسان العرب عن المحكم ٢:٨-٢٠

فجعلت اتّبع القرآن من العنب واللحاف ومنه ايضاً حديث الزهري : قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والقرآن في العنب والقُطْمُ^(١) قال ليبد يصف كاتباً :
 شعور كمن يبد بكنه فلا على عنب ذك وبان^(٢)

يريد بالعنب الذابلة اليابسة ويظهر ان العنب اليابنة كانت تفضل ما سواها ولذلك كانت اكثر ما تذكر في وصف مزامير داود قال امرؤ القيس :
 لمن طلل اجسره فشجاني كخط زبور في عيب يان^(٣)

وقال كثير في وصف منازل البضع :

تلوح باطراف البضع كأخا كتاب زبور خط لدأ عيبها^(٤)

ولم نجد من ذكر البان في غير بيت ليبد المتقدم فهل كان يُستلح شي منه للكتابة ؟

٣ - لحاء الشجر

من اشهر انواع قشور الشجر التي كُتب فيها قبل الاسلام لحاء الكاذي . قال المسعودي : كتب ملك الهند الى كسرى انوشروان . . . وكان كتابة في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الاحمر . وهذا الشجر يكون بأرضي الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه ارق من الورق الصيني تتكاثر فيه ملوك الصين والهند^(٥) .

وسمى البيروني هذا اللحاء « تاري » في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » (ص ٨١ طبعة ليبسيك) ويشبه ان يكون الإسحان لمسى واحد ما لم يكن وقع تحريف في الثاني .

ويتحصل من قول حمزة الاصفهاني ان ملوك فارس سبقوا ملوك الهند والصين في الكتابة على قشور شجرة يقال لها الحَذَنُكُ او الحَدَنُكُ تعمل منها القسي

(١) لسان العرب ٢ : ٨٩٥

(٢) ادالي القاني طبعة الدار ١ : ٥٥

(٣) الفند الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين ١٠٦

(٤) سجع البلدان طبعة اوروبية ١ : ٦٥٨

(٥) مروج الذهب جوامع نفع الطيب ١ : ٢٢٤

التي أيضاً^(١) تسمى حارزة التوز. والمحدثك نوع من الجوز الأبيض قال جرير:
 « سنة خمسين وثلاثة (٩٦١ م) قدم من البنية نسخة ساروية بي داخل مشية جي
 جانب وطهر منه بيت فيه نحو خمسين عدلاً من جلود مكتوبة بخط لم ير الناس قبله مثله فلا
 يدري متى أحرز ذلك في هذه البنية. وُسِّلت عما اعرفه من خبر هذه المصنعة المحيية البناء
 فأخرجت إلى حضرة الناس كتاباً لابي مشر البلخي مترجماً بكتاب اختلاف الرجمة ويقول
 فيه: ان الملوك باغ من عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر واشفاقهم
 عليها من احداث الجور وآفات الارض ان اختاروا لها من المكاتب اصبرها على الاحداث
 وابقاها على الدهر وابدعوا من التفتن والدروس طاء شجر المحدثك ولما واه يسمى التوز وجم
 اقتدى اهل الهند والصين^(٢) »

ومن اشار الى ذلك ايضا المافروخي قال: « كانوا يكتبون الكتب في
 طاء التوز اذ صادفوها ابدع من التفتن واسلم من الدروس^(٣). ووصف البيروني
 طاء التوز فقال يعملون به عملاً كالتذهين والصقل بصلب به ويلس ثم يكتبون
 عليها يعرف نظامها بارقام العدد المتوالي^(٤) » .

ويظهر ان ورق التوز كان معروفاً موجوداً بدمشق في اواخر القرن السابع
 للهجرة وهو ما يستفاد من قول ابن شاعر الكوفي في ترجمة جوبان بن مسعود
 القواس التوزي قال :

« لم يكن يعرف الخط ولا النحر وكانت كتابته من جهة التوير في غاية القوة بحيث انه
 استار من القاضي عماد الدين بن الشيرازي دوجاً بخط ابن البواب ونقل ما فيه الى دوج
 بورق التوز وازرق ورق التوز على خشب واوقف عليه ابن الشيرازي فاعجبه وشهد له ان
 في بعض ذلك شيئاً اقوى من خط ابن البواب واشتهر بذلك في دمشق وبقي الناس يقدرونه
 وينرجون عليه وكان له ذهن خارق ونوفي في حدود الثلاثين وسبعمائة^(٥) (١٣٨١ م) .

ومن قشور الشجر التي كان يكتب عليها وتحت مجتم السلطان في مملكة
 الهند والسند ويتعامل بها كالتقود طاء التوت وهي التي دعاها ابن التوطيني
 « الجاوز » وابن بطوطة « دراهم الكاغد^(٦) » قال شهاب الدين السري في كلامه
 على المملكة المشار اليها :

(١) فهرست لابن النديم طبعة القاهرة ٣٣٦ وخطط اميرزي مطبعة النيل ١٨٦: ٦

(٢) تاريخ ملوك الاوض طبعة كالكتا ١٧٢-١٧٣ والاثر الباقية للبيروني ٢٦

(٣) محاسن اصفيان ٩٢

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة ٨١ (٥) فوات الوفيات ١٤٠: ١

(٦) طالع مقالاتنا « دراهم الكاغد » في الحزاة الشرقية ١٤٩: ٣-١٤٠

« معاملتهم بقصور من بناء شجر التوت مطووعاً باسم الدان فإذا غنى ذلك المتعاطي به حمله إلى بواب الدان وأخذ عرضه مع حسارة لطيفة كما يؤخذ في دار الصرب على ما يؤخذ إليها من الذهب والفضة فيصرب بها^(١) . . . ومعاملتهم بوزن التوت ومنها كبار ومنها صغار منها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم أو واحد ومنها ما يقوم مقام درهمين ومنها ما يقوم مقام خمسة وأكثر إلى ثلثين وخمسين ومائة وهو يؤخذ من لحاء شجر التوت الأبيض ويغتم باسم النعان وتجري به المعاملات فإذا غنى واضحل حمل إلى الخزانة وأعطى عوضه مع غرم قليل^(٢) .

٤ - العظام والاكتاف

في لسان العرب : الكتف عظم عريض يكون في اصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم (٢٠٢:١١) .

وقال ابن التميمي : « ان العرب تكتب في اكتاف الابل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض وفي العصب عصب النخل^(٣) . وذكر ابن خلكان في كلامه على « مسك الجفر » وهو جلد الماعز تقول الشيعة ان الامام جعفر الصادق كتب لهم فيه كل ما يحتاجون اليه وكل ما يكون الى القيامة قال : « كانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في العظام والحزف وما شاكل ذلك^(٤) . ولا ريب ان هذه الكتابة في البادية كانت شائعة كل الشيوع لكثرة الابل فيها وما كان يُنجر منها ولكنها كانت معروفة ايضاً في الحواضر وبقيت فيها إلى ما بعد ظهور الورق وذلك لوفرة العظام والاكتاف قال الشافعي :

« لا حرج من الكتابة كت انقسط الحزف والزقوف وكررت النخل واكتاف الجبال اكتب فيها الخبث والجور الى الدواوين فاستوجب منها الظهور فاكتب فيها حتى كانت لا مبرح حجاب فلا تخاف اكتافاً وحزفاً وكررتا ملحوا : حديثاً^(٥) .

وكانت هذه الاكتاف سهلة المتناول يجدها المرتد لما من ايسر سبيل ويُترسل بها حتى الى النساء^(٦) قال الاصمعي : كان عمر بن ابي ربيعة وابن ابي

(١) الجزء الثالث من مسالك الاقطار خزائن باريس ٢٢٥ ص ٤٢

(٢) الجزء الثالث من مسالك الاقطار خزائن باريس ٢٢٥ ص ٤٦

(٣) الفهرست ٣١

(٤) وفیات الاعيان لابن خلكان ٣٩٣:١

(٥) ارشاد الاربيب طبعة مرجانيوت ٣٦٩:٦ وقاريخ ابن عساكر الظاهرية دمشق

٣٩٩:١٢

عتيق جالدين بغناء الكعبة فمرت بيها امرأة من ربيعة وقيل من آل أبي سفيان
فدعا عمر بكنت فكنت فيها :

أولاً بدأت المال فاستطلعا لنا على العهد باقٍ ودعا ام ترمما
وقولا ما ان النوى احثية لنا ولكم قد خفت ان نبتنا

فقال له ان عتيق : « ما تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب لها بثل هذا؟ »^(١)

وحكى ابو الفرج الاصبهاني قال : حدثني مولى لبني كليب بن يربوع ...
قال : كنت اجمع شعر جرير ... فجاءني ليلة ... فأكل ثم قال هلم نبينك
ثم قال هات دواة وكفأ فأنثته بها فجعل علي علي قوله : « أُولِي اللوم عاذلٌ
والغابا »^(٢) .

وفي بعض الاقوال ان الجوارى والفتيات في عهد الخلفاء العباسيين كن
يتلقن مثل هذه الكتابة ويتدربن عليها ولاي دلامة المشهور قصيدة الى العباس
ابن المنصور قال فيها :

هذي سفانة شيخ من بني امد جدي السلام الى العباس في الصحف
تخطها من جوارى مصر كاتبة قد طالا ضربت في اللام والالف
وطاما احتافت مينا وشانية الى مسلها بالروح والكنت^(٣)

ولا نظن ان الاكتاف كانت تؤخذ من الابل وحدها دون غيرها من
اكتاف الحمر الوحشية والغنم والماعز وفي دار الكتب والتحف المصرية نفائس
من الاكتاف المكتوبة .

٥ — الخرق والياب البيض

في خزانة الادب للبغدادى ان المعلقة المشهورة كانت تسمى المدهبات
قال : وذلك انها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بيا الذهب
وعلفت في الكعبة^(٤) . ولا ندري عن نقل هذا القول وليس في الآثار القديمة ما

(١) كتاب الموشى لابي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الرضا ٦٥-٦٦

(٢) الاغانى ٩ : ١٢٦

(٣) الاغانى ٩ : ١٢٦ والمقد الفريد لابن عبد ربه المطبعة الازهرية ١ : ٨٠

(٤) خزانة الادب المطبعة السلفية ١ : ١٢٣

يؤيده وفيه إشارة إلى استعمال القباطي في الجاهلية للكتابة . والقباطية وهي ثياب من الكتان كان يصبغونها حاكّة القبط في مصر في البياض والنقا . ولذلك صح تشبيهها باللبن المحض في بيت لرجل من الكهنة المشهورة بن شعبة وكان أعور دميماً فشبهه إذا مشى متأزراً بقباطيته به ضرب من الخنفساء . يركض في اللبن فقال :

إذا راح في قباطية متأزراً فلحمل يستنّ في لبن عض
ومن النّسج التي كانت تستعمل للكتابة الثياب القومية . يقال ثم نسبة إلى قوهستان بلد في كورمان في فارس وهو ثوب أبيض قيل له الأثريا وعمر بن أبي ربيعة غائب كتب إليها :

كتبك إليك من بلدي كتابة مواء كسد .

وكتبه في قومية وشغفه وحسنه وبعث به إليها فلما قرأته كتبنا
إنا في كتاب لم ير الناس مثله أريد بكافور وسك وعد
وقرطاسه قومية ورباطه سفند من الياقوت صافٍ وحر
وربما كتبوا الصداق وهو مهر المرأة في النصف من البيض جمع نصف الثياب وعد ابن الحاج مثل هذه الكتابة من باب المباهاة والمخالفة لبس النصف مباحاً للرجال والنساء . قال : « وهذا ليس بلبس والوجود وذلك منهى عنه ولهم في الرق وغيره من المباح اتساع »^(١) .
« ولا قال دجيل قصيدته المروقة :

مدارس آيات خلت من تلاوة وسننل وهي مغفر العرس
كانت مكتوبة في ثوب بأحرم فيه وأمر أن يعمل في أكفائه »^(٢)

وفي سنة ٧٥٣/١٣٦٠ « بايع أبو البساس السقاح لابي جعفر المنذر
المعهد بعده ولابن أخيه تميم بن موسى بعد أبي جعفر وكتب إليه

(١) الأبي لفقار ٣٧٨

(٢) الصلابة مادة الدار ٢٢٥٥-٢٢٦٦

وخته بخاتمه ونحواتهم اهل بيته ودفعه الى موسى بن عيسى^(١).
وفي سنة ١٢٨٢/٦٨٠ يوم السبت سادس رمضان حضرت رسل الملك
المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول متملك السين وسألوا ان
يُكتب لمرسلهم امان على قيص وتعلم عليه العلامة السلطانية فأجبروا الى
ذلك^(٢).

وكانوا يتخذون ايضا الثياب البيض للتصوير واكثر ما يصور عليها « صفة
الدنيا » قال ابن النديم : « رأيت هذه الصفة في ثياب دقيقي خام باصباغ وقد
شُمت الاصباغ^(٣). ورأى البشاري المقدسي هذه الصفة^(٤) على كرباسة عند ابي
القاسم ابن الانطاقي بنيسابور^(٥). والكرباسة ثوب من القطن الابيض تغلب
عليه الحشونة ومثل هذا التصوير هو المعروف اليوم بالخارطة .

ومن اشباه هذه الثياب والخرق كانوا يتخذون الصرر لتغليف القرد وارسالها
بعد ان يُخط عليها اسم مرسلها. وعنوان من ترسل له وفيها كانت تدون بعض
الرسائل والمخاطبات والوائت والبرقيات . وكانت الحسكة في بوسير وسجنود
يعطنون خرقا خاصة لمثل هذه الكتابات يجعلونها كالبطاقات ويعلقونها بأعناق
الجرار والاولعية التي كانوا يصنعون فيها الكتب ومدارج القراطيس خوفا من
تقصفها وتقطعها فكان بكل قطر منها بطاقة منوطة به باسم صاحبها بعد
استئصال البركة عليه كما يشهد بذلك ما وجدته في دفائن الصعيد من البرديات
المكتشفة في القرن الماضي .

وفي دار التحف المصرية وبين محرر البرديات في قبة امينة في غابة النفسة
من قطع النسيج المكتوبة .

٦ - المهارق واوثاب الحرير

لابحارث بن حنّرة الشكري من مملقته :

- (١) تاريخ الموصل رواية ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي يخلد منصور في دار
الكتب المصرية رقم ٣٦٧٥ (تاريخ) ص ١٢٨
- (٢) اللوك لمعرفة دول الملوك للفريرزي ٢: ٢٠٢
- (٣) الفهرست ٣٩٧
- (٤) احسن التقاسيم ٦

وادكروا حاتم دي اندجار و... قدم فيه السهرود والكهـ...لا

حيدر الخور والتمندي وغير بعض ما في المهارق الاوهوا.

قال الزوزني : « المهارق جمع مهرق وهو فارسي معرب يأخذون الحرقـة ويطلونها بشي . ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً »^(١) . وروى صاحب لسان العرب قول حسان :

كم للنازل من شعر واحواي لآل انباء مثل المهرق البالي

وقال :

« المهرق ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويغسل ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مهر كرد وقيل مهره لان الحرزة التي يغسل بها يقال لها بالفارسية كذلك »^(٢).

وجاء مثل ذلك في المعرب للجواليقي وان اصحابا مهر كرده اي صقلت بالحز (وفي الاصل المطبوع صقلت بالحز غلطاً)^(٣) . وهذا التفسير هو الاصل ثم عم الصقل سائر الحرق والاثواب فأطلق لفظ المهرق عليها بالمشابهة وتناول في ما بعد كل صحيفة يكتب فيها كما عم لفظ القرطاس كل انواع الورق وهو في الاصل موضوع لصحف البردي . ومن شواهد اطلاق المهرق على كل صحيفة قول شينيم بن خريلد القزاري :

نسمع اصوات كدري الفراغ . مثل الاعاجم تنفي المهرق القزاري^(٤)

وعند الجاحظ ان المهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين او كتب عهد وميثاق وامان^(٥) وهذا اذا صح في بعض الشواهد كما في بيت الحارث بن حازة المتقدم فلا يصح على الاطلاق والشواهد على خلافه في النظم والنثر كثيرة .

وكانت الكتابة على الصحف الحربية اكثر ما تكون من خصائص الملوك ورجال الدولة والمترفين والاغنيا . « ولا صار عيسى بن موسى بقيد متوجهاً لقتال محمد بن عبدالله بن حسن كتب لوجال اهل المدينة في خرق الحرير »^(٦) . ونقل

(١) شرح المصنفات للزوزني ١٨٣

(٢) لسان العرب ١٢ : ٢٤٧

(٣) المعرب للجواليقي ١٣٥

(٤) تقاض جريبر والفردق طبة ييقان ليدن ١٠٦ : ١

(٥) كتاب الحيوان للجاحظ طبة القاهرة ١٣٢٣ ص ٢٥

(٦) تاريخ الطبري طبة ليدن ٣ : ٢٤٤

عن الخليفة العباسي الراضي بالله انه « ضاق صدره لكثرة ما اضطرب عليه من قيام المتغلبين بالنواحي فقال احب ان انظر في اخبار الماضين من الملوك لانتلي بما مر عليهم فليل له : ما تجد هذا مجموعاً الا في تاريخ محمد بن جرير الطبري فامر ان ينحصر له فأعجه وقال : يسخ هذا في رق نظيف ويصور جميع ما فيه ويغزل فيه بيتاً ووجهه الى شتر (شتر) فاستعمل له ديباج منسج بالذهب مكان الجلود »^١.

وفي محاسن القيادة للجاحظ « ناوتني خريطة فيها اوراق فقالت : هذا اول ما ورد علينا منه . فاذا فيها ثوب خز ابيض يقق مكتوب فيه بلاء الذهب . »^٢
وروى ابن خلكان ان المأمون « طالب والد الفاضل (بن سهل) با خفاه فحملت اليه سلة محتومة ثقيلة فتفتح قفلها فاذا صندوق صغير محتوم واذا فيه درج وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الفضل بن سهل قضى انه يعيش ثانياً واربعين سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار »^٣.

وحكى ابن النديم ان « ملكة الفرمجة كتبت الى المكتفي كتاباً في حرير ابيض وانفذته مع خادم وقع الى بلدها من جهة المغرب تحط بصدقة المكتفي وتطلب التزويج به وكان اسم الخادم علياً من خدم ابن الاغلب »^٤.
واعناد الملوك والامراء . كتابة الصداق في الحرير « ولما تزوج هولاءكو بينت ملك الكرج داود قال ابن البراب : وانا كتبت الكتاب في ثوب اطلس ابيض »^٥. وفي سنة ١٢٣١ / ١٢٣٢ تزوج مجاهد الدين ايبك ابنة بدر الدين لولو « وكتب الكتاب في ثوب اطلس ابيض »^٦.

واقتدى بهم الاغنياء . وقد سبق ان ابن الحاج عد ذلك من باب السرف والمخالفة . وقال علوان الحموي في اوائل القرن العاشر للهجرة « ان اقبج البدع

(١) قطب السور في وصف الانبذة والخمور للرفيع الغبرواني ٢٢٠٢ خزائن باريس ٢٥٣

(٢) المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ ٢٤١

(٣) وفيات الاعيان طبعة دسلا ٥٧٧

(٤) الزهرست لابن النديم ٣٠

(٥) المنهل العاني لابن توري بردي مجلد مصور في الجامعة المصرية في القدس ٨ : ٢٩٤

(٦) الحوادث الخاصة لكمال الدين ابن الفوطي ٧٢

ما حدث في بلادنا في الاعراس... فإذا جرى العقد الى اهل العروس ان يكتبوا ذلك الا على حبر نحو ذراع او اكثر إسرافاً وتبذيراً^١ . ولكن تاج الدين السبكي رجع بهواز مثل هذه الكتابة وقال : واما كتابة الشروطين الصداق في الحرير فيختلف في حوازه وافتى النوري بتجزيته وعزاه الى جماعات من اصحابنا ولكن الاظهر حله لانه لمصلحة النساء^٢ .

وندر جداً ان يكتب الصداق في غير الثوب الحرير الابيض وفي مجلة المجمع العلمي العربي صفة عقدتين كتبا في اواسط القرن الثامن للهجرة على قطعتين من نسيج الحرير الاخضر لم يُبَاهِما مر الزمان ولم تُصَب احدهما بأدنى ترقق وتحرق^٣ فبأي حبر يا ترى كانت تمكّن الكتابة على الحرير الاخضر حتى يأتي عليها الدهر دون ان تروى .

٧ - الألواح

لم نجد لاحد قولاً في الألواح وتعريفها على كثرة الاشارة اليها في كتب الادب وورود لفظها في القرآن وهي قديمة سبقت الاسلام واول ما اتخذت في ما يظهر من جرائد النخل التي تُزَع خوصها وتان يقال لها السبورة بالبلاء والسفورة بالفاء. وفي الحديث : لا بأس ان يحلي الرجل وفي كفه سبورة قالوا : هي الألواح من الساج يكتب فيها التذاكير^٤ والساج خشب اسود رزين طويل البقاء وربما اتخذت ايضاً من الاكتاف وعليه تفسير الازهري : اللوح صفيحة من صفائح الخشب والكف اذا كتب عليه سمي لوحاً^٥ .

واكثر ما كانت تتخذ الألواح من الخشب المصبوغ بالسواد تغشاها طبقة من الشمع ليسهل الكتابة عليها وعوها ولعلها اصطُنعت ايضاً من الحجر اللدن

(١) نيات الايجار في نيز بن كرامات الاوين والاختيار لطيف بن حسن المايب بلوان الحديوي رقم ٩٧ و٩٨ من دار الكتب الظاهرية بدمشق طالع خزائن الكتب بدمشق وضواحيها ص ٥٤

(٢) ميد النعم وميد النعم طبعة ليدن ٨٥-٨٦

(٣) مجلة المجمع العلمي بدمشق ٢١: ٤١٦-٤٢٦

(٤) لسان العرب ٥: ٦ وناج العروس ٣: ٢٥٢

(٥) لسان العرب ٣: ٤٢١

وبعض المعادن كالأحراس . ولا يبعد كذلك ان تكون اتخذت أخيراً من الورق المضغوط المصقول بعد انتشار صناعة الورق لحفة حملها في الأكام وسهولة تجديدها ولكن معظم ما كان يصطنع منها من صفائح الخشب المود لخصها وقدرة احداث المكاتب على اقتنائها وكانوا يتدربون في كل حين على تعلم الكتابة فيها ونسخ ما كان على عليهم من آيات القرآن فكانوا لا يفارقونها دائماً لانتفاعهم بها وتيسر محوها او غسلها حتى ان بعض واقفي المدارس من الرزاة والاغنياء كانوا يشترطون على الايتام صب مياه غسل الألواح على قبورهم ترافاً وتبركاً بما لحظ عليها من آيات القرآن . قال صلاح الدين الصفدي في تاريخه : حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى قال : اجترت بترية الصاحب تاج الدين بن حنا المصري فرأيت الى جانبها مكتباً للايتام وهم يكتبون القرآن في الراحم فاذا ارادوا مسحها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبة فسألت عن ذلك فقل لي هذا شرط الواقف ؟^(١) ولهذا السبب اي كتابة القرآن على الألواح اشترط النقاء شروطاً لفعلها قال ابن الحاج المائلي :

« ينبغي للمؤدب ان لا يكتب عليه ان يكون لمسح الألواح موضع ظاهر ممان نظيف لا ينجس فيه بالاقلام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يمنع من المسح فيحفر له في مكان ظاهر ممان عز ان يضاء قدم ويجعل فيه او يلقه في البحر او البئر وكذلك الماء الذي يذبل به الحرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يتهين ويشترط في الحرق التي يمسح بها الألواح ان تكون طاهرة وان يكون الماء الذي يبل منه حين يمسح به طاهراً والافضل ان يكون الماء غير مشتمل وان امكنه ان يكون حلواً فهو اولى لان من الناس من يشربه لانتشافه به فاذا كان أحاجاً امتنع عليه ذلك او فنص بشربه »^(٢).

وكان يقال لهذه الحرقه التي يمسح بها اللوح « الطالسة »^(٣) من طاس الكتابة اذا ازالها ومحاه^(٤) وكان لهم اداة اخرى يقال لها المنجل اقتصرنا في تعريفها على انها شي . تحمى به الواح الصبيان^(٥) دون اقل بيان كماداتهم كثيراً في تفسير

(١) فوات الوفیات لابن شاکر الکنتي ١١٢: ٢

(٢) المدخل ١٦٥: ٢-١٦٦

(٣) تاج العروس ١٧٩: ٦

(٤) تاج العروس ١٧٨: ٦

(٥) تاج العروس ١٢٨: ٨

الفاظ الحضارة واستدرك في تاج المروس « انجل الصبي لوحه اذا محاه »^(١) .
واكثر ما كان يكتب في اللوح باقلام الجص والطباشير وقد اشار
كشاجم اليها في شعر له سيجي . فقال : « وقلم مداده تراب » وذكر ايضاً
البشاري المقدسي اتربة اخرى في كلامه على تجارات فارس فقال : ويبيئ (من
نواحي شيراز) حديد وطين ابيض يكتب به الصبيان الواحهم وطين
اسود للبختم^(٢) « وكان لهم قلم من حديد يكتب به لا شك فوق الشع يقال
له المسلول^(٣) ولكن اقلام التراب كانت اكثر انتشاراً واوفر استعمالاً لقرب
متناولها في كل مكان وتزارة قيسها واشراق بياضها على سواد اللوح^(٤) وقد
تقدم ان من انواع الحشب التي تعمل منها الواح الصبيان وطلاب الحديث الساج^(٥)
لوزانته وقلة بلائه وكان لارباب الثراء والمتانقات من النساء الواح خاصة من
الآبنوس لجأله وسواده ونصوع الكتابة فيه ومنه الواح كانت لمحمد بن بشير
احد شعراء كتاب الاغانى تناط بـ « احمريكتب فيها بالليل » زانها صفان من
صدف^(٦) اخذها منه قثم بن جعفر بن سليمان احد نضرائه فقال ابن بشير
متاهماً عليها :

أبقت اللوح اذا أخذت حرفة في القلب تضطرم
زانها صفان من صدف واحمرار السير والظم
ونوى اخذها قثم لا نوى فعبها قثم^(٧)

ثم ندب فقدها في ابيات آخر وصف فيها كل ما اجتمع فيها من المنافع
والمراقت فقال :

ابنوس دماء حالكه اللو ن لُب من اللطائف المذخ
ذات نفع حقيقه الزندر والمجلى حالكوكه الذرى والنواحي
وسريع جفوفها ان يحاها عنه يحل مستبجل القوم ماح

(١) تاج المروس ٨ : ١٢٠

(٢) احسن التقاسيم ٤٤٣

(٣) القاموس المحيط للفيروز اباي ٤ : ٥٢ وتاج المروس ٨ : ١٢٠

(٤) كتاب البلدان لابن الفقيه ٤٥

(٥) تاج المروس ٣ : ٢٥٢

(٦) الاغانى ١٢ : ١٢٩

هي كانت عمري وعي "أ" داب وابعه عمتي وصلاح
 كنت ادويجا غي طاب المعجم اذا ما عدت كل مباح
 هي كانت عدا روري ادا را روري الندم يوم اصطاحي
 آب عمري وغاب بدري وحودي حين غابت وغاب غني مباحي^(١)

وفي البيت السادس معنى فسرهُ ابو الفرج الاصبهاني بقوله : « يعني انه
 يعمل فيها الشعر ويطلب لزواره المأكول والمشروب »^(٢) . واذا أخذ هذا البيت
 على ظاهره فهل يستفاد منه ان ابن بشير كان اذا اراد ان يتنازع شيئاً من
 البقال او الطباخ او الحمار كان يكتفي لقلة ما لديه من القرطاس او لارتفاع
 اقامته ان يبعث اليهم بالواحه كالرقعة يطلب بالشعر ما يريد . واذا صح هذا
 الظن يكون من اطرف ملجح الالواح واغرب فوائدها في تاريخ الحضارة العباسية .
 ويتضح من اوصاف ابن بشير واتفاق كل الاخبار ان الالواح كانت عمدة
 الشعراء في تدوين بنات افكارهم وعمدة كل كاتب ودار وطالب للحديث
 والعلم . « تحدث الاصمعي عن عيسى بن عمر قال : كنا نشي مع الحسن ومنا
 عبدالله بن ابي اسحق فقال الحسن : جاذبوا هذه النفوس فاني طاعة فاخرج
 عبدالله بن ابي اسحق الواحه فكتبها وقال : استندنا منك يا ابا سعيد «طاعة»^(٣)
 وروي عن ابي عبيدة انه قال : « اختلفت الى يونس اربعين سنة املاً كل يوم
 الواحي من حفظه »^(٤) . بل ارااد جرير ان يرد على احد منا قضية « اقبل الى
 منزله وقال للحسين رويته ترد في ذهن سراجك الليلة واعدد الراحك
 ودواة »^(٥) .

وكانوا اكثر ما يستعينون بهذه الالواح للكتابة العاجلة ثم ينقلون ما فيها
 الى الدفاتر كما جاء في ترجمة كيسان بن المعروف النحوي ابي سليمان المجيسي
 قالوا : كان يخرج الى الاعراب فينشدونا فيكتب في الواحه ما ينشدونا وينقل
 من الواحه الى الدفاتر^(٦) ولذلك قال احد الشعراء :

(١) الاغانى ١٢ : ١٢٩

(٢) الفهرست لابن الندم ٦٢

(٣) ارشاد الاريب ٧ : ٢١٠

(٤) نقائض جرير والفرزدق طبعة يمان ليدن ١ : ٤٣٠

(٥) ارشاد الاريب ٦ : ٢١٥

١ اجا الطالب الآداب مبتدراً لا كنهه عن حملك الالواح للادب
فجعلها ادب تحوي به ادباً وسوف نتقل الى فيها الى الكتب
وليس كل وقت ممكن فام ودعنا يا عدم المثل في الخب^(١)

وفي خبر سعد الوراق والعلام المترهب عيسى قال الشاعر ابو بكر الصنوبري:
عبرت يوماً انا والمعوج الشامي من بستان بتنا فيه فرأينا سعداً الوراق جالساً في
ظل الدير وهو عريان فعدلناه وغفناه فقال: دعاني من هذا الوسواس ثم التفت
الي وقال: يا صنوبري فقلت نعم قال: اكتب...^(٢)

وما سبق يقين ان الالواح كانت لا تفارق كم كل اديب ومتعلم وكاتب
وكانت الدواوين السلطانية نفسها لا تخلو من هذه الالواح يستمين بها بعض
العمل والمركلين لتقييد الشوارد والطوائر وهو ما يؤخذ من قول الشافعي:
دخلت المراق في خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بي غلام فلاتمني
وقال: ما اسمك فقلت محمد فقال ابن من قلت: ادريس الشافعي فقال:
مطلبي؟ فقلت اجل. فكتب ذلك في لوح كان في كتفه وخلى سبيلي^(٣).

ومن اغرب ما بلغ اليه رواج الالواح وانتشارها في كل الطبقات انه كان
اذا ولد مولود يوضع عند رأسه لوح ودواة وقلم، وهو ما ذكره ابن الحاج قال:
«... ينبغي ان ينعز ما اجره بعض في لغة الساج وهو ان يكون عند رأس المولود
المنه والفرج والدواة والقلم فويجب من اخبر وقبلة سكر ان كان مفلاً ومن كانت له
سعة على رعيه كبيراً من الكماج والفرجة من السكر وطبقاً من الفاكهة ورقة من التل
وتسماً ومن كان فقيراً اخذ من كل واحد شيئاً ما فاذا كانت جسيمة تلك الليلة فرفن كل
ما اجتمع عند رأسه من ذلك وبزعم من انه بركة»^(٤).

وكان صانع الالواح وبائعها يسمى الالواحي ومن عرف بهذا اللقب محمد
ابن علي بن المنتخب المحب بن الملا ابن الشمس الحلبي... يعرف جده
بالالواحي لصلها^(٥)

(١) المحاسن والساوي لليراق ١١: ١

(٢) الديارات النصرية في ديار الاسلام لنا ٨٢

(٣) غرات الاوراق لابن حجة ١٧٢

(٤) المدخل ٣: ٥٥-٥٦

(٥) الفصول اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السناوي ٨: ٢١٠

وفي الألواح كانت تنقش بعض المراسيم السلطانية وتعلق على أبواب الجوامع فتشيع وتشتهر ولما حظ نظام الملك بعض الاعاء. الثقيلة « امر ان ينشأ في هذا المعنى مثل ويسخ منه نسخ تقرأ في الجوامع وبالاطراف على رؤوس المنابر وفي صدور المحافل والمحاضر وبان ينقش كتبه في الألواح تُسَر على كل باب جامع ومشطاح يتأملها البلدي والقريب ويتسامع به البعيد والقريب »^(١).

وكان في المغرب مثل هذا الاعتياد للألواح بين العامة والخاصة والأمراء والملوك وفي الاخبار المروية عن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن امير المعامدة الموحدين قالوا « لما تجهز امير المؤمنين الى غزو الروم امر العلماء ان يحضروا احاديث الجهاد تُقلى على الموحدين ليدرسوها وهكذا جرت عادتهم الى اليوم فجمع العلماء ذلك وجاؤوا به اليه فكان عليه على الناس بنفسه فكان كل واحد من الموحدين والسادة يحيى بلوح يكتب فيه الاملاء فجاء هلال (بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش) يوماً ولا لوح معه فاخرج القوم الواحهم فقال له الوزير : اين لوحك يا ابا القدر (وكانت كنيته) فدخل واقتنع بعذراً فاخرج له امير المؤمنين من تحت برنسه لوحاً وتاوله اياه وقال : هذا لوحه . فلما كان من التد جاء ومعه لوح غير الذي دفعه له امير المؤمنين فلما نظر اليه قال له : اين لوحك بالامس يا ابا القدر فقال : خبأته واوصيت اذا مات ان يجعل بين جلدي وكفني »^(٢).

ومن افضل ما وصفت به الألواح ابيات لكشاجم الشاعر المعروف قالها في الواح آبنوس وهي كما جاءت في ديوانه المطبوع :

سم المدين على الآداب والمحكم	مخائف حاك الانوان كالظلم
لا تشد مداداً غير صبة	فسر ذي اللاب فيها حد مكنتم
جلت وحقت نالم بدنس خاملها	ثوب ولم يغش منها قوة القلم
وامكن المحو فيها الكف فانت	لا تفسن من نشر ومتنم
حلبها احبب واتخت لها	وقانه من ذكي العود لا الأدم
فالكم يبق منها حجب سودعه	عرنا فنتم منها العليب بالشبه
لو كن الواح موسى حجب اغضبه	هرون لم يلها خوتاً من الندم ^(٣)

(١) محاسن اصناف للفضل بن سعد بن الحسين المافروخي طبعة طهران ص ١٠٢-١٠٤

(٢) المحجب في تلخيص اخبار المغرب للسراكتي ١٨٣

(٣) ديوانه المطبوع في بيروت ١٦٨

ويستدل من هذا الوصف ان الواح كشاجم كانت محلاة بالفضة خليقة
 باشعاره الذهبية وكان لها صوان من العود الذي تحفظ فيه حتى اذا وضعت في
 الكم اكسبته طيباً وانتشرت منها ومنه رائحة العود وهو نهاية في الترفق والترف.
 ويظهر انه كان من الالواح نوع يقال له لوح الهندسة او تحت الحساب لا
 ندري من وصفه الا قول كشاجم فيه :

وقام مداده تراب في صحف بطورها حساب
 بكثرفيه المحو والإضراب من غير ان يسود الكتاب
 حتى يبين الحق والصواب وليس اعجاب ولا اعراب
 فيه ولا شك ولا انياب^(١)

ومن اوصاف الواح كشاجم وما تقدمها من الاخبار والملمع يتضح لكل
 بصيراً ما كان لصناعة الالواح وتزويقتها وتجارتها في الشرق العربي من الشأن
 والشهرة والارواح بين كل الطبقات والاقوام من الاحداث والرجال والنساء.
 فكان لا يخلو منها منزل ولا حانوت فضلاً عن المكاتب والمدارس ولا تكاد
 تغارق فراش المحدث والشاعر وبد السامع والسائر واليه كان يوجع حفظ الطالب
 وقلم الكاتب والنجاب فكان قسطها في خدمة الدين والعلم والحضارة يفوق
 غالباً قسط الكواغد والجلود والرقوق لخص الالواح وغلا الصنف ولم يترفع
 الملوك والامراء انفسهم عن حملها احياناً تحت برانسيم كما مر بنا آنفاً . على
 اننا لسو الحظ لم نوفق للمثور على اقل اشارة اليها بين اولاد الخلفاء العباسيين
 فلا ندري هل تأبطها ابن المعتز مثلاً ولم يوصي اليها مرة في شعره ولم يرو لها
 ذكر في جملة ما كان يجهزه خدم القصر من ادوات الكتابة لاولاد الرشيد حين
 كان يؤفيم الاحمر^(٢) خلافاً لابناء المروانيين في الاندلس فان الصبي منهم كان
 يتروى كل يوم بلوحه يشتر على الكتابة فيه بانامله الرخصة حتى اذا تدرج
 الى بعض الاجادة في التقليد والرسم تطير البشائر بمجذقه وتقام من اجله الافراح.
 ولا نشأ لابي الاصبع عبد العزيز بن الناصر ولد دخل الكتابة وكتب اول

(١) محاضرات الراغب ١ : ٥٤ وديوان كشاجم المخطوط في ملك الدكتور سامي
 الدعان .

(٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١١٠

لوح فيه بعث ابو الاصبع بلوحي الى اخيه الحاكم المستنصر ملك الاندلس
وكتب معه :

هالك يا مولاي حطاً طبعه في اللوح مطاً
ابن سبع في سبي لم يطق اللوح ضمطاً
دست يا مولاي حق بلد ابن ابنك سبطاً^(١)

٨ - الجلود

كان اكثر كتابة العرب وملوكهم في الجاهلية وبدء الاسلام في الجلود
ويقال للمدبوغة منها الأدم ومنها كانت صحيفة المتأس التي يضرب بها المثل .
واكثر ما كانت هذه الأدم من جلود الابل لوفرة ما كان ينحر منها للطعام وقرى
الاضياف وبها كان معظم تجارهم في الاسواق وفي ما جاور من البلاد واشتهر
بها في الجاهلية ابو سفيان والد معاوية وعمرو بن العاص « قيل كان عمرو بن
العاص تاجراً في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهي الأدم والطر^(٢) »
وربما قام ببيع الأدم في الاسواق بعض النساء كالحرمية التي ذكرها النابغة
الذبياني بقوله :

كادت تصافيني رحلي وبشرتي ذي الجوار ولم تنس به نه^(٣)
من قول حرمية قالت وقد ظنوا علي في تنبئك من يشري أدماً^(٤)

واشتهر اليمن خصراً بوفرة الأدم فيه حتى كانوا يكونون بها عن الدراهم
فيقال : « ليس بين الدراهم والأدم مثله » . يريدون بين العراق واليمن لان
تبائع أهلها كان بالدراهم والأدم قال اوس بن حجر :
وما عدلت نفسي بنفسك سيداً سمعت به بين الدرام والأدم^(٥)

قال الاصطخري : « في صعدة يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ
بنجران وجرش والطائف أدم كثير غير ان اكثر ذلك يرتفع من صعدة وبها

(١) نفع الطيب للسفري ٢: ٢٢٢

(٢) كتاب الولاء وكتاب القضاة لابي عمر الكندي ٦-٧

(٣) شعراء النصرانية ٤: ٧٠٧

(٤) اساس البلاغة للزمخشري طبة الدار ١: ٧

مجمع التجار والاموال»^١ . وقال البشاري المقدسي : « صعدة اصفر من صنعا . عائرة في الجبال يبا تصنع الركا . الحيدة والانطاع الحسنه ومنها يرتفع آدم جيد . . . ونجران مثل جرش وهما دون صعدة واكثر ما يرى من الأدم في هذه المدن »^٢ .

وكانوا يكتبون أيضاً في جلود الفم والمغزى والحمر وسائر الدواب الاهلية والوحشية وفي جلود الظباء . وفيها كتبت مصاحف القرآن والتوراة ايضاً^٣ . ويظهر ان جلد الحمر كان يسمى الفلجان ولم نجد هذه اللفظة في معجمات اللغة ذكرها ابن النديم في قوله : « ان القرس كانت تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم وان الروم تكتب ايضاً في الفلجان وهو جلود الحمر الوحشية »^٤ . وذكر ايضاً انه اجتمع في مدينة الحديشة برجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بكرة جماعة للكتب له خزانة قال : لم ار لاحد مثلها كثرة . . . فاخرج لي قطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل جلود فلجان وحكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تلامي وجلود وأدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب^٥ . ومن شواهد الكتابة في جلود الماعز كتاب الجفر المشهور الذي ذكره ابو العلاء . بقوله :

لقد عجبوا لاهل البيت لما أنام عليهم في مسك جفر

« والمسك هو الجلد والجفر ما يبلغ من الماعز اربعة اشهر وجفر جنباه وانفصل عن أمه »^٦

ومن اغرب ما كتب فيه جلد الخف خوف علي بن ابي طالب قبل خلافته .

قالوا ان الكتاب الذي كتبه الرسول لشيخ الداري واخوته في سنة تسع من

الهجرة منصرفه من غزوة تبوك كتبه علي بخطه في قطعة من آدم من خفه^٧ .

وكانت الجلود البيض تغفل للكتابة لظهور سواد الحبر عليها ويقال لها

(١) مالك المالك ٣٦

(٢) احسن التقاسيم ٨٧

(٣) تاريخ الهند لليروني ٨١

(٤) الفهرست طبعة القاهرة ٣١

(٥) الفهرست ٦٠-٦١

(٦) وفيات الاعيان ٣٩١:١-٣٩٢

(٧) مالك الابصار للعري ١٢٣:١

الْقُضْمُ جَمْعُ قَضَمٍ وَفِي حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ : « قَضَضَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّمَ) وَالْقُرْآنُ فِي السَّبِّ وَالْقُضْمِ »^(١) . وَمِنْ شَوَاهِدِ الْكِتَابَةِ عَلَى الْجُلُودِ وَالْجَمْرِ : « أَنْ اسْتَقْبَ نَجْرَانِ اتَيْنَا رَمَعَهُ كِتَابٌ فِي أَدِيمِ أَحْمَرَ قَالَ : أَسْأَلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَطَّ يَدِكَ وَشَفَاعَةَ لِسَانِكَ » يَعْنِي لَمَّا رَدَدْتُنَا إِلَى بِلَادِنَا قَالَ فَأَبَى عَلِيٌّ أَنْ يَرُدَّهُمْ^(٢) .

وَلَا حَاجَةَ إِلَى الْقَوْلِ أَنَّ الْكِتَابَةَ عَلَى الْجُلُودِ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ الدَّبَاغَةَ الْكُوفِيَّةَ كَانَتْ تَصُغَبُ جَدًّا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُلُودَ كَانَتْ تُصَقَّلُ قَبْلَ أَنْ يَهْوَنَ مَرَّ الْقَلَمِ عَلَيْهَا وَيُسْرَعَ الْخُطُّ فِيهَا . وَمِنْ الْأَدَلَّةِ عَلَى ذَلِكَ مَا حَدَّثَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجُبَيْمِ السَّمَرِيُّ قَالَ : « كُنَّا إِذَا اتَيْنَا الْأَحْمَرَ - مُزْدَبِ أَوْلَادِ الرَّشِيدِ - تَلَقَّانَا الْخُدَمُ فَتَدَخَّلَ قَصْرًا مِنْ قُصُورِ الْمَلِكِ . . . وَبَدَفَعَ إِلَيْنَا دِفَاتِرَ الْكَاعِغِ وَالْجُلُودِ قَدْ صَقَلَتْ وَالْحَاوِجِ الْمَخْرُوطَةِ وَالْأَقْلَامِ وَالسَّكَاكِينِ »^(٣) . وَأَعْلَمُهَا كَانَتْ تَصَقَّلُ أَيْضًا وَتَبَاعُ كَذَلِكَ فِي حَوَانِيتِ الْجَزَائِرِ لِيَتَسَكَّنَ الْمُشْتَرِي مِنَ الْكِتَابَةِ عَلَيْهَا حَالًا دُونَ انْتِظَارِ إِحْقَاقِهَا . وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ ابْنُ عَسَاكَرَ :

« اتَيْنَا عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَتَنَى مِنْ قُرَيْشٍ يَذْكُرُ حَقًّا لَهُ فِي كِرَاعِ أَدِيمِ بَشْرٍ مِنْ أَلْفِ دَرَمٍ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بَخْطَ مَوْلَى لِسَعِيدٍ كَانَ يَقُومُ لِسَعِيدٍ عَلَى بَعْضِ تَقَاتِهِ وَبَشَادَةِ سَعِيدٍ عَلَى نَفْسِهِ بَخْطَ سَعِيدٍ فَعَرَفَ خُطَّ الْمَوْلَى وَخَطَّ أَيْهِ وَانْكَرَ أَنْ يَكُونَ لِلْفَتَى وَهُوَ صُلُوكُ مِنْ قُرَيْشٍ هَذَا الْمَالُ فَأَرْسَلَ إِلَى مَوْلَى أَيْهِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الصِّكَّ فَلَمَّا قَرَأَهُ الْمَوْلَى بَكَرَ ثُمَّ قَالَ : نَمِ اعْرِفْ هَذَا الصِّكَّ وَهُوَ حَقٌّ . دَعَانِي مَوْلَايَ فَقَالَ لِي - وَمَدَا الْفَتَى عَنْهُ عَلَى بَابِهِ . . . هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْأَدِيمِ - أَكْتُبُ . فَكُتِبَتْ بِأَمْلَانِهِ هَذَا الْحَقُّ فَقَالَ عَمْرُو لِلْفَتَى : مَا سَبَبُ مَالِكَ هَذَا ؟ قَالَ : رَأَيْتُهُ وَهُوَ مَمْزُولٌ بِنُحْيٍ وَحَدَدٍ فَكُتِبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَ دَارَهُ ثُمَّ وَقَفْتُ فَقَالَ : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَنُكْتُ : لَا . أَلَا إِنِّي رَأَيْتُكَ تَمْنِي وَحَدَكُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُبْدِلَ حَنَاحَكَ فَقَالَ : وَصَلْتُكَ رَحِمَ يَا ابْنَ أَخِي وَقَالَ : ابْنَتِي قِطْعَةُ أَدِيمِ فَأَتَيْتُ جَزْأَرًا عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فَأَخَذَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْقِطْعَةَ فَدَعَا مَوْلَايَ هَذَا فَقَالَ : أَكْتُبُ فَكُتِبَ وَأَمْلَى عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكُتِبَ شَهَادَتُهُ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ وَقَفَهُ إِلَى وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي لَيْسَ عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ . فَخَذَ هَذَا الْكِتَابَ فَأَذَا أَنَا شَيْءٌ فَأَتَيْنَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ شَيْءٌ »^(٤)

وَأَوَّلُ مَا عُولِجَتْ الْجُلُودُ بِالنُّسُورَةِ وَبَقِيَتْ مَعَ ذَلِكَ عَاسِيَةٌ لَا تَخْلُو مِنْ بَعْضِ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ ١٥ : ٣٨٩

(٢) كِتَابُ الْمِرَاجِ لِابْنِ يَوْسُفَ الْمُطْبَعَةِ السُّلَيْمِيَّةِ ٨٨

(٣) إِرْشَادُ الْأَرَبِ لِیَاقُوتَ ١١٠ : ٥

(٤) تَارِخُ ابْنِ عَسَاكَرَ دَارُ الْكُتُبِ الظَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشْقَ ١٣٦٥ : ٢ وَالدَّبَاغَةُ وَالنَّهْيَةُ لِابْنِ

الشواذب والآفات لأن الدباغة لم تكن بلغت المبلغ الذي انتهت اليه من الإصلاح والتطرية والجودة . ثم حدثت الدباغة الكوفية وتحسنت طرق معالجة الجلود فلانت ورقت وتحلّت فهان الخط عليها . وفي الشعر عدة اشارات الى الكتابة على الاديم اعتادوا ان يشبهوا بها رسوم الديار والدمن قال المرقشي :
الدار فسر والرسوم كما رُقش في ظهر الاديم قلم^(١)

وكانت الفرس قديماً تتخذ الجلود في الدواوين لطول بقائها وسبقهم في ذلك اليونانيون والروم وكانوا يكتبون فيها اسماء الجيش وارزاقهم قال ابن النديم : « والذي رأيت انا بالمشاهدة ان ابا الفضل بن العبيد انفذ الى هنا (بغداد) في سنة ثيف واربعين وثلثمائة (٩٥١ م) كتاباً متقطعة أصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق وكانت باليونانية فاستخرجها اهل هذا الشأن مثل يوحنا^(٢) وغيره وكانت اسماء الجيش ومبلغ ارزاقهم وكانت الكتب في نهاية نثر الرائحة حتى كأن الدباغة فارقتا عن قرب فلما بقيت ببغداد حولاً جفت وتغيرت وزالت الرائحة عنها ومنها في هذا الوقت نشي . عند شيخنا ابي سليمان^(٣) . ولا يخفى ما في احوال استخراجها وضياح مضامينها من الحسارة للتاريخ والعلم .

وروى ابن المقفع ان الاكاسرة كرهوا رائحة دباغة الجلود حين كانت ترفع اليهم فامروا بتصفيرها بالزعفران وتطيبها بآء الورد وحكى البلاذري في هذا المعنى انه لما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع يَكُوْر دجلة ويقال بالهبّاذ فحمل مالا وكتب رسالة في جلد وصفرها فضحك صالح وقال : انكوت ان يأتي بها غيره - يقول لعله بامور العجم^(٤) .

قال ابو الحسن المدائني : « راغبني مشايخ من الكتاب ان دواوين الشام انما كانت في قراطيس (من البردي) وكذلك الكتب الى ملوك بني امية في جل المال وغير ذلك فلما ولي امير المؤمنين المنصور امر وزيره ابا ايوب المورياني

(١) الامالي للقالي طبعة الدار ٢٤٦

(٢) يلب على الظن ان يوحنا هذا هو يوحنا بن بطريق الترجمان ذكره القفطي في

« اخبار السلا » وقال انه كان اميناً على الترجمة حسن التادية للساماني ٣٤٨

(٣) النهرت ٣٣٦

(٤) فتوح البلدان طبعة ليدن ١٥٥٢-١٦٥٠

ان يكتب الرسائل بحمل المال في صحن وان تصغر الحجب فجرى الامر على ذلك^١. ونسب الجهمياري استبدال القراطيس بالجلود في ايام العباسيين الى خالد بن برمك لما وزر للسفاح وذلك قبل ظهور الكعاب^٢. حتى اذ كانت فتنة الامين نهيت الدواوين واخذت الجلود فحيت او غسلت واقام الناس بغيره سنين لا يكتبون الا فيها^٣.

واكثر ما كان يكتب في الجلود خاصة صكوك المقارات والضياغ وانواع الاقطاعات لقوتها على البقاء. وعلى ذكر الصكوك والجلود يحلو لنا ايراد ملحمة من افكهم الملح رواها ابن خلكان عن «كتاب الهدايا والتحف» للخالدين الشاعرين وقد تطلبناها في النسخة القديمة المحفوظة في دار الكتب المصرية فلم نجدها لما فيها من النقص وهي واردة في نسخة كاملة مصورة من الكتاب المذكور في ملك الدكتور سامي الدهان بدمشق. وهذا نص الملحمة نقلًا عن ابن خلكان :

«كان باصبيان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سراك بن النعمان وكان جوي منية من اهل اصبيان لما قدر ومضى تعرف بام عمرو ذلافراط حبه اباها وصبايته بها وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه لذلك كتاباً وحمل الكتب اليها على غل فشاغ المهر بذلك وتحدث الناس به واستظفوه وكان باصبيان رجل متحلف بين ايركاكة جوي منية اخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله ان سراكا لما اهدى الى ام عمرو حلوداً ايضاً لا كتابة فيها وان هذا من الهدايا التي تستحسن ويحمل موقفاً عدد من تحدى اليه فاشتاغ حلوداً كثيرة ورجعها على بطن لتكون هديته ضامف هدية سراك وانفسعا ان التي يمت فشاغ وحاشا للجلود اليها ووقفت على المهر تنيطت عليه وكتبت اليه رقعة بنشئه ونحاش ان لا نكلمه ابداً وسألت بعض الشعراء ان يعمل ابياتاً في هذا المعنى لتودعها على الرقعة فقول ومنها :

أرأيت من جدي الجلولو دأ الى شيفته سراكا
واظن انك رمت ان تمكي فمالك ذا سراكا
ذاك الذي اهدى الضياغ لام عمرو والصكوكا
فبشت شتة كأنك قد مسحت جين فاككا^٤

وليت الخالديان نقلاً لنا الابيات برمتها لظرفها وحلاوتها .

١. فتح البلدان طبعه ايدن ص ٤٦٥

٢. كتاب الوزراء والكتاب ٩٠

٣. الفهرست ٣٣

٤. وفيات الاعيان ٢٠٤:٢

الآثار المطوية (١٠)

جَمَعَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا وَنَشَرَهَا

الأب انطونيوس شلي اللبناني

رئيس المدارس جليل

بين الشيخ ناصف البازجي ونصر الله الطرابلسي الحلبي

كان الشيخ ناصف البازجي رجلاً عالمًا شاعرًا ، كريم الاخلاق ، محمود الصفات ، موفور المهابة ، رصيناً رزيناً ، أياً وفيّاً لاصدقائه ومعارفه ، متواضعاً خفيض الجانب لين الطباع . قد طارت شهرة علمه وفضله في الاقطار الشرقية والثرية ، وراسله الادباء والشعراء من كل طبقة ومذهب ، وافرغوا عليه حلق المدح والثناء ، فكان يجيبهم على مراسلاتهم نثراً بنثر وشعراً بشعر . وكثيراً ما كانت تتخلج في صدره عاطفة طيبة رقيقة نحو اصدقائه الذين حالت بينه وبينهم شقة البعاد ، فيشتاقهم ويحن اليهم ويجذب عليهم ، ويثب لبعادهم ويذكر عهد ودادهم فيبيح الشوق الى لقائهم ، فلا يستطيع اذ ذاك ضبط شواعره ، فيبب القلم الى الدواة والقرطاس متهادياً بين أنامله ، ينشر ما انطوى في قرارة نفسه من داعج اوجد ، وينفج باحتوى من كالم الثنا . والحمد ، دليلاً على صدق وعوده وعهوده . تلك عاطفة وفا . واخلاص كانت متجسدة في قلب هذا الشيخ الكبير .

وقد عثرنا له على رسالة خطية من نثر وشعر لم تُطبع في كتاب مراسلاته^(١) ، أنقذها الى صديقه الإديب الشاعر نصر الله الطرابلسي الحلبي^(٢) جواباً على رسالته اليه .

(١) « فاكهة النداء » في رسالة الادباء . للشيخ ناصف البازجي ، طُبعت بنفقة المكتبة المصرية لوزير زند ، في ٩٢ صفحة .

(٢) عليك بما كتبه عنه الأب لويس شيخو في (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٦٧ - ٢٦٩) وقسطاكي بك الحمصي في (مجلة الشلة الحلبية لصاحبها فتح الله قسطون ، في سنتها الثانية ، العدد الاول ، آب سنة ١٩٢١ ، ص ٥٨)

في خزانة كتب دير الشير تكئين (سوق الغرب) المختوية نقائس المخطوطات والمطبوعات ، كتاب خطي تحت رقم ١٣٣ عدد ١٦ ، مخروم من أوله وآخره ، شبيه « بحراب الكردي » الجامع لكل شيء ، يقع في ٥١٨ صفحة ، منسوخ بخط عربي غير جيد على ورق عبادي مائل الى الزرقه ، وبالحبر الاسود . اما عناوينه فبالحبر الاحمر ، مجلد بجلد اسود قديم ، سقطت من آخره بعض ورقات فضاع معها اسم ناسخه . طول هذا المخطوط ٢١ سنتيمتراً ، وعرضه ١٤ سنتيمتراً ، وعرض هامشه سنتان . يتدنى هذا المخطوط بمخالفة المعلم بطرس كرامه ، وجواب احد المسلمين عليها بقصيدة^(١) . ثم قصيدة لكرامه ، مطلعها :

للمره في حادثات الدهر آمال وللزنايب إقدام وإجفال

الى صفحة ١٣ ثم يأتي كتاب « الراهب المشتاق » وهو ناقص من آخره ، ترجمة القس يوسف بن جرجس الباني الحلبي ، الى ص ١٠٦ ، فالمقالة الاولى الدورية في عيد الافخارستيا من ص ١٠٨ الى ١١٩ ، فكُتِبَ في انهدام الديانة المبرانية ، ينتهي في صفحة ١١٤ ، فنبذة في تاريخ طائفة الروم الكاثوليكية الملاجية وذكر الحوادث التي جرت بينها وبين طائفة الزعم الارثوذكسية ، من اوائل شير آب سنة ١٨٣٧ ، الى ص ٢٨٦^(٢) ، فاشعار بما تلزم الانسان في بعض الاوقات لصروف الازمان ، فقائد للشيخ عمر القارضي منبأ بتحسيس خمرته :

مربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرة حارس قبل ان يخالو الكرم

فأبيات في النساء . صفحة ٣٠٧ . قال الشاعر :

لئن تألوني بالنساء فأنني عليم بأدواء النساء وطبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل مائه فليس له في وذهن نصيب

وقال غيره :

إن النساء وإن عرفن بغيتهن جيفت نذب بما الذباب الخوم
البرم عندك مرثها وحديثها وغداً لتبرك كفتها والعصم

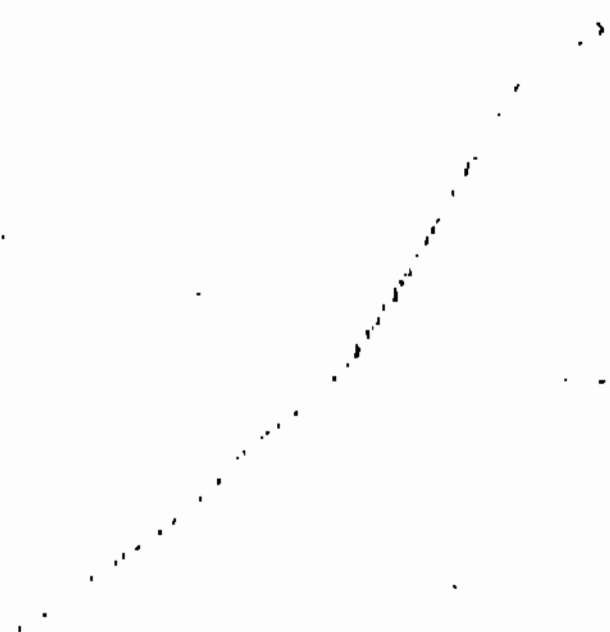
- (١) طالعها في « قطرة طراير » للكونت الشيخ رشيد الدحداح . طبعة باريس سنة ١٨٨٠ ، في ٩٤ صفحة ، بقطع كبير .
- (٢) قد نشرها الخوري قسطنطين الباشا المخلصي تحت عنوان « نبذة تاريخية » سنة ١٩٠٧ في ٣٥٧ صفحة بقطع ربع .



الشیخ ناصیف الیازمی

۱۸۷۱ - ۱۸۰۰

مضی من قد علا علماً وشہراً مقاماً لم یصل أحدٌ الیه
 قطاب کذا کرد ناصیف آرخ ختاماً رحمۃ اللہ علیہ
 (ابراہیم بطرس کرامہ) ۱۸۷۱



كلان تزلزل وتسبح راحلا ويحل صدك ميو من لا نعلم
فأحذر من الأثني ولا تركن لها ولو أتحا قالت ، اما هي سر

وقال غيره في العلم :

سنت يوماً مثلاً ساراً فكنت بالسر لـ فاعلم
لا خير في المرء اذا لم يكن لا طالباً علماً ولا علماً

فأشار بعضهم متفرقة ، كصفي الدين الحلي ، والحريري ، ويزيد بن
معاوية ، الى ص ٣١٢ ، فتخيس قصيدة الفارضي :

زدني بفرط الحب فيك تحيراً وارحم حساً بلقي مراك تسعراً^(١)

بدون ذكر اسم المحسن ، فتخيس القصيدة التي بدوها :

ألا يا ليل هل لك من صباح وهل ليل نجبك من براج

ص ٣١٩ ، فقصيدة زجل اولها :

في بحار الحسن عجوبى تسبح وتللا بليس اثواب الجبال

فرجلية لميخائيل بن عبود البحري ، يروي بها الراهب الحوري يواكيم ،
فرجلية ايضاً في فائدة العلم ونقص الجهل ، فأخرى في مدح القربان الاقدس ،
قصيدة خمرية ص ٣٢٨ ، في ثلاثة عشر بيتاً ، مطلعها :

ثم أختطفها لأن السر يختطف صبا يندح منها العز والنرف

قصائد للفارضي ايضاً ، « قصائد تدعى بمشترات الفارابي المغربي منظومة
على حروف المعجم محبوكات الطرفين لا نظير لها » ، تبتدى في جفحة ٣٣٢ ،
وتنتهي في ص ٣٤٦ ، فخمرية فتح الله بن الحناصر في ثلاثة وعشرين بيتاً ، بدوها :

سلبوا النصرن مطاناً وقودوا وتناشوا ورد الرياض خدودا

قصيدة لشارك الحلبي يمدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي . وقد صدرها
بهذا البيت :

من لي بكوكب عرفان وبدر وفا بسمه شرف قد جاوز النرفا

(١) قد وقفنا على تخمين عدة شعراء لهذه القصيدة ، ونحن قد غشناها اذ كنا ندرس
المعاني والبيان ، وقالت استبحان استاذنا العلامة الاب نعمة الله ابو ناصر (شاكر ابو ناصر
قبلاً) .

ومطلعها :

آيات - فتر جيج الحسن نالها ترمر ونغم المنا بالمد نالها
وتنتهي في صفحة ٣٥٣^١ ، فقوائد ايضاً للفارضي الى ص ٣٧٦ ، فقصيد
للشيخ عبد النبي النابلي يدح بها نفسه ، أولها :
وحودي جل عن جسي وعن روجي وعن غلي

وجواب الشيخ احمد بن الحر المتوالي (الشيعي) عليها بقصيدة^٢ ، فقوائد
أخرى للفارضي الى ص ٣٩٨ ، فقوائد عديدة متتابعة للشيخ ناصيف اليازجي ،
منها مطبوعة ومنها غير معروفة سنشرها . وأولى قوائده في هذا المخطوط ،
قصيدته في الدولة المصرية ، وهي معنونة هكذا :
« قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي على الدولة المصرية » مطلعها :

يا فأنج الفطرين انت محمد هل دون فتحك في البلاد مدد

وتبتدى قوائد وتواريخ الشيخ ناصيف في صفحة ٣٩٩ ، وتنتهي في ص
٤٩٨ الخ . وفي اواخر هذا المخطوط نبذة من اشعار عترة المبي بخط مختلف
من صفحة ٥٠٠ الى ٥١٨ . وان كثيراً من اشعار هذا الكتاب قد افسدها
الناسخ لجله ، فاختل وزنها .

•

وفي صفحة ٤٧٦ من هذا المخطوط ، رسالة نثرية شعرية ، للشيخ ناصيف
اليازجي ، بحث بها الى صديقه الشاعر نصر الله الطرابلسي في مدر ، جواباً له
على رسالته اليه . وهي معنونة هكذا :
« وله (للشيخ ناصيف) رسالة بحث بها الى المعلم نصر الله الطرابلسي الخلي الى مصر
الفاهرة »

واليك نص هذه الرسالة بحرفه الواحد :

(١) عليك بها في تاريخ الامير حيدر الشهابي ، القسم الاول ص ٢٤
(٢) راجعنا في تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » في
حوادث سنة ١٧٢٣ ، ص ١٨ ، القسم الاول ، طبعة اسدرسم وفؤاد افرايم البستاني . المطبعة
الكاثوليكية - بيروت ، ١٩٣٣ . وطالع مثال فؤاد افرايم البستاني : « الشيخ عبد النبي
النابلي والشيخ احمد الحر » (المشرق ٦٥ [١٩٥١] : ٧١)

رسالة الشيخ ناصيف البازجي بعث بها الى المعلم نصر الله الطرابلسي الحلبي

فتح الله لك ، يا شقيق الروح بالحسنى ، وختم لحبك بالقرنى^(١) .
فقد بلغ الشوق الأمد ، وغلب على الكبد الكسد ، ولم يدرى ان شكوى
الحب المهجور، لعجة^(٢) توسوس في الصدور . وكيف استيقا، ما لا يزال كل يوم في
مزيد ، ويردف مفردات العتيق^(٣) بجمل الجديد . فوأيتك ما كتبت بما مضى
سطرا ، الا اتى الحال بمثله شفعاً ووثراً .

ثم ان لمن اعجب الغرائب ، وأغرب العجائب ، غيابك في شخص حاضر ،
وحضورك في شخص غائب . تقربك الاشواق ، وتبأى بك الآفاق ، فأنت
اقرب من جبل الوريد الى النهى ، وأبعد عن العين من السهى . والله درُّ القائل :
يا بيد الدار موصو م لا بقلي ولساني
طالما أبعدك الدهر م فأدتك الأماني

هذا ولم يزل الضير متصلاً بأفعال التبك واليقين بين الاماني والذكرى ،
تقلبه عوامل الوجد والحنين ولا يجد وقاية ولا سترًا ، لا يتصرف عن الصباية
والغلل^(٤) ، وكيف وقد اطبق عليه لقيف مقرون من اللال ، يستطرد من
شكوى تنانك ، الى شكر أياديك ، ويستمتع ذكر أطافك بتسني اثتلافك .
فهي بين الحُب والانشاء ، كالنصب بين الافعال والاسماء ، وتردد ذكرك فيه
كالمنى في الكلام ، او الارواح في الاجسام .

ثم ان ثم قلباً ان هو الا نقطة في مركز الاشجان ، تدور بينه خطوط
متدة تسترق الزوايا والاركان . قد كآله موسى القطيعة والفراق ، ولا بدع
في رب البلايل والاشواق ، المتجلى على طور الصباية بالإحراق والإيقاق ،
وأذا ابت ما كان من جوامده الباردة ، حرارة الصعداء^(٥) العائده . وناهيك ما

(١) بديع . (في الاصل) . يبين ان الشيخ ناصيف البازجي ، قد علق تناسير بعض
كلمات وردت في رسالته هذه وفي قصائده المدونة في المخطوط الذي نحن في صدوره ، فنقلها
الناسخ بالحبر الاحمر على الهامش وقد اشرنا اليها بكلمة « في الاصل » .

(٢) غمر (في الاصل) .

(٣) الغلّة : العطش الشديد ج غلّل .

(٤) الصعداء : التنشيط الطويل من هجر او نسي .

هنالك من الشأن المغني خبره عن العيان ، وتقليده عن البرهان ، وليت شعري كيف يكون قلب صبر ألتفه الهجر ، فكان احسن ما تناوله الصبر .
تقول لي كيف اصبحت . كيف يصبح مثلي وقد ساءت به العشر المقولات ، وخالفت نتائج المقدمات ، فله في كل قياس انعكاس ، وفي كل قضية خطية .
اذا ذكر العصر الذي سلف ، كاد يتغير من اللفظ والاسف . بكاؤه معقد الازار ، ومثامه ظلل في وبار ، وسلوه في قبضة الجيار ، فكأنه القمر ولكن في السرار . حبل قد ونب عليه أسد ، فهل له من جلد ، قد حالت سموده نحوسا ، وخرج شكل نصره الكنيسا^(١) ، طالما قام في الليل اذا سجا ، يرصد نجم الدجا ، وكأها حب الصبا ، حن لها وصبا . يجد راحة الارواح ، في بجانبه الروح ، ويرى لذة الشاق بالسهاد ، اذا طاب الانفراد للإنشاد . فكان قوافي الايات ، أغاريد النغمات ، وفواصل الفقر ، ضربات الوتر .

ومما أنشد قوله :

كأن جفوني وهي تنبع رمضاء ^(٢)	دموعي ، أقر الله عينك ، حرأ
وقد نادر لا يبرد ما الماء	فله ماء لا يخنقه اللظى
على أنه للقلب ، واعجبا ، داء	أشوق الى تلك الليالي وذكرها
وفوق السرى عنها طلائع أنفء ^(٣)	وأصحب أرواح المزامي تحيي
فراعجبا للنور بالنور إطفاء	اذا لاح برق السح أطفأ ناظري
وليس اني ردي التحية إصفا	وأعجب ان يأتي رسولا سلا
اذا سفتحت لي عبرة فيه وطفاء	هو السح اذ يدعى فلا عجب إذن
ومولاه نصر الله واليد أعداء	وأعجب من قلبي كثيرا على الهوى
فأدنى اليك منك هذي الثريا	أيا هاجرا لنا نرى لك صورة
لحب وما ظني بيبك خطأ	أعيبك مما بي وأعلم أنه
وقد كان لي شكر عليه وإثناء	شكرت اللقا ، وهو المسبب فتتي
فلولاه لم تلتق بنفسي أمراء	فلو طمت نفسي فلك يا ليت لم يكن
وللدع فيها طاعة كم عيباء	بكيت فخافت مني طائل العسى

(١) كذا وردت هذه العبارة في الاصل الذي نسخنا عنه .

(٢) ارض حارة (في الاصل) .

(٣) تيمية مهزولة (في الاصل) .

ترادف قطر الدمع منها قوياً
كسّت وحتي ثوب أحمرار ندي
ولا تحسب المرجان دمي فإد
حبست في عن ثرها فتخللت
أجل نظراً في حال دمي وقل له
ولا تنفخر عجباً بلفظك واتد
يقولون إن الشوق يسل على المدى
يزيدك طول الدهر يا شوق كثرة

أيا صاحباً من أجل صحبة الضي
هجرت ، ولكن لا ملأاً ، ولم ترز
ولكن ذل الدهر من بدر يلبي

الك كما شاء الزمان رسالة
تكاد تلوح النار - منها لأتوا
فلو لم يُثقلها سلامي وأدسي
ولولا ألتفاني غمر طيفك عندما
بزعمي ان تُحدي الرسائل بيننا
لدار على الساق ان يذكر النوى
وما لي ومن الشوق لكن موانع
اذا لم أحشائي بذني نقول لي
أسفت ولم أترك مجالاً ومكذا
اذا لم يدني البعد عنك فما انا

وقالوا تصبر وأسل ، قلت لهم ، نسّم
لكل عليها مستحيل وإغما
تقول نساء الخير ما بك هل ترى
أثرة ما لي أن يسى بدا قد

حبي من ينفي السقم حديثه
أجل ، بل غربي ، والرواية عجماء

نالت ولكن لم يبين إبطاء
لأن ثياب الحزن لا شك سوداء
لآلي ثناء عنك في القلب يضاء
الى منافي فاستنفدت وهي حمراء
سلام ولا يرز وفي النار أحشاء
فكلها غال متى قضى وشاء
فقلت على المعلوم جاءوا فما ساءوا
كان الذي يأتي به لك أجزاء

وقد نلّ الجسم السقم أصحاء
وللشوق في طي الترائب هيجاء
قد اغلّ منه اللام والدين والغاء

جا مهجة مشربة ، ليس إنشاء
هي أبت قلب دونه النار رياء
لطار جا شوق اليك وإغراء
كسبت لأصلتها من الشوق صمدا
وما يتنا إلا شاب وأغما
فقرّب الحسى وصل وليس أحباء
يصح اشتغالاً من حرامن النساء
أموت وفي قلبي من المذر أشياء
على قدر المفرد نطرق أسواء
بن ساءة يرش وسرته نساء

سأله ولكن بالنظير اذا جاءوا
لنا ولمن خل وفي وعفاء
هوى أم جنون ، قلت ، لا تم إغما
تريه كما باليوم مشكن أمساء

وَمَنْ ضَلَّ عَنْ تَبِيهِ مَنْ أَرَادَهُ
سَكَرَتْ يَوْمًا وَمَا زَلْتُ لَا كَمَا
وَلَا بَدَعَ إِذَا مَقَصَّرَ الرَّجُلُ شَرَبَ^١
بَنَفِي وَإِنْ لَمْ تَأْتِ كَفَرُوا لِبَابًا
سَوِيْدَاءَ مِنْ طَبِيْعٍ وَرِيْحَانَةٍ جَا
قَفَرْتُ جَا حَيْثَا قَرَلْتُ فَلَمْ تَعُدْ
إِذَا حَضَرَنِي صَوْرَةٌ عِنْدَ ذِكْرِهَا
وَفِي جَانِبِ الْآيَاتِ وَادٍ عَفِيفُهُ
كَأَنِّي فِي طَرْقِيهِ نَجْمٌ وَكَلُّ مَا
إِذَا مَالَتِ الْأَغْصَانُ مَلَتْ فَكَلُّنَا
أَيُّتُ يَوْمَ أَرْمَى النُّجُومَ وَتَسْتَبِي
فَلَوْلَا نَوَاحِي مَا بَكَتْ فِيهِ مَزْنَةٌ
لَنْدَ تَقْلُوا أَنْ الْعِيُونَ سَوَاحِرُ
وَلَيْسَ سِوَى الْأَفْخَاسِ فِي النَّاسِ مُسَكَّرًا

تَبَادَكَ مَنْ أَنشَأَكَ مِنْ نَسْلِ آدَمِ
يَدُلُّ بِمَا يَجْرِي سَوَاكَ مَوَاهِبًا
تُصْرَحُ عَنْكَ الْمَكْرَمَاتُ مَبْرُورَةً
وَيَسْتَدُ نَظْمُ الشَّرِّ أَنَّكَ رَبُّهُ
لَنْ نَشْرَبَ عَيْنُ الْمَانِي عَنِ السَّوِي
وَلَا بَدَعَ إِنْ جَاءَتْكَ نَفَادُ رَغْبَةٍ
مَتَى جَالٍ فِي طَرَسٍ بِرَاءَتِكَ جَاءَنَا
وَرَبُّ سَوَادٍ هَانَ لَوْلَاهُ أَيْفُضُ
رَعْنَدُكَ فِي عِلْمِ اللَّفَاتِ إِحَاطَةٌ
فَلَوْ كُنْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ فِي يَوْمٍ بِابِلٍ
سَمِي حَلْبًا صَوَّبُ الْجَبَابِكُ بِأَكْرَا
وَلَا يَدْعُ أَنْ تُحْدَى الْحَاسِنُ مِنْكَ

وَأَدَمُ بَعْضُ الذَّاتِ مِنْكَ وَخَوْرًا
وَأَنْتَ لِمَا تَحْوِي دَلَالٌ وَخَيْلًا
إِذَا كَانَ مِنْهَا غَرُ غَيْرِكَ إِيمَانًا
بِمَصْرِ وَلَوْ قَبِيلَ الْحِجَازِ وَعَرَبًا
فِيَا طَالَمَا طَاعَتُكَ مِنْهُ عِذْرًا
وَكَذَلِكَ يَاقُوتُ وَلَنَظْمُكَ لَا لَأَدَا
يَسْدِرُ أَفْئَادُهُ الْهَدَايَةَ ظِلًّا
كَمَا جَاءَ فِي الْأَحْدَادِ أَسْوَدُ وَضَاءُ
كَأَنَّ الَّذِي بَلَغَكَ سَنَةٌ إِيمَانًا
لَمَّا أَشْكَلْتَ فِي أَلْسِنِ الْقَوْمِ عَجَابًا
وَمَا هِيَ إِلَّا رَوْضَةٌ بِكَ غَنَاءُ
فَأَنْتَ شَهَابٌ نَاقِبٌ وَهِيَ شَبَابُ

هذا وأنا أترجى إغضاء البصيرة السليمة ، وأتوقع صفح الروية المستقيمة ،

عما فرط بها من العيوب ، وأفرطت من الذنوب ، غير قائل : رَبُّ عَثَمٍ أَقْرُ
للعين ، فارجمي بِخَنِي حَنِين . على أنها وإن كانت معلقة ابن حَجَرٍ ، أو من
حوليات زهير ، لم تغف لديك الاموات الحُجَل ، أو تجري على ما يسا من
العلل . قد لَفَّقْتُ^١ وأنا مطاق العنان ، اتردد بين كثير من المكان ، وقليل
من الزمان .

يومًا يَمْزُوى ويومًا بالْمَنَقَرِ وبألم حُذَيْبِ يومًا ويومًا بالْمُلَيْصَاءِ

يتنازعني من الاشتغال فريقُ فريق ، فاذا ألني الإعمال تدنّ التعليق . فأننا
ذو فؤادٍ مقيّد ، وشوقٍ مجرّد ، وقلقٍ متدارك ، وأرقٍ متواتر ، وقلبٍ مشطور ،
وجسمٍ منهوك ، ونفسٍ سريع ، ونوحٍ طويل . طالما قطعتُ معارف اليد ،
ورسلتُ المتقارب بالمديد^٢ ، فكان شخصك نُصبَ عيني ، حاكمًا لي وعليّ ،
فقرضني الولا . وشرطني الوفاء . وقد وهبتُ عيني الدموع ، وحجبتُ غنيتها
المجروح ، فقد كدت أذوبُ حَجَبًا ، أو اقضي حَجَبًا . لم أزل أكشفُ كُفَّ عبرتها
وهي تبين ، فطيا البينة واليين ، وأتقلب هائمًا بين السحر والاصيل ، والله
خير الشاهد والوكيل .

قد ضربتُ عروضها في صفائح البيضاء ، لا اليدا^٣ ، ومددتُ أسبايا بيد
فريحتي الشلاء ، فجاءت وأياتها تكاد تور من الهيبة والحياء ، حتى إذا كانت
على جناح السُفْر قائلة يا لَتَيْهَا . انتفض الحُجْرُ بالحُجْرِ انك في مصر القاهرة .
فَوَأْنِمْ الله أنْ مثلك مَن كان قلبه في البلاد ، تبصرة وذكرى للبلاد . وأخرُك
الى من يُدعى اليه طَلاعُ الثنايا ، وتلقى اليه مقاليد الوضع والحُل في القضايا .
فانقد أحصيت العلوم بين الحوام والحوام ، وظفرتَ منها بكل سانع وبارح ،
واعتصمت بمراعاتها فكرًا عن الحُطَا ، فكانت تجري على صراط مستقيم ، وإن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

(١) من لَفَّقَ الثوبَ لَفَقًا : ضمَّ شدةً منه الى أخرى فخطها .

(٢) بمرانٍ من أجمُر النمر .

(٣) يُقال : أُنْبِتَ في بَيْضاء البَيْض ، اي في صبيبه . والبيداء : الفلاة .

ولعمري اني لستُ إلا على جانب الفضول ، بركوبي متن هذه الفصول .
فأنا كن أطعمه الغرور ، بتناول الشعر العبور .

وهياتِ هياتِ (١) العقيق وَمَنْ يَـ وَهياتِ خلٌّ بالمفقر نواصلة

وكيف تُخصي او تُحصر بالعدِّ والحدِّ ، صفاتٌ من جَمَعَ الفضائل قائمة في
جوهر شخصه الفرد ، فما أنا إلا كاتبٌ على صفحات الماء ، او حاسبٌ طالع
الهام . بَيِّنْ ان لمَّا يتعلَّق بالإعراب والابشكال ، ان لهجتُ بما لي على صمودك
سلم الكهل ، فكان ذلك كما يقال للآل يا زلال ، وللمرجون " يا هلال ،
فأطرقتُ خجلاً لإجرامي بتناديك ذكراً ، وتذكرتُ ما سبق لي من آياتٍ
شعراً .

أخجلتني فوجئت حين مدحتني فكأنما ذاك المديح هجاء .

أنا قطرة من فيض بورك زدني ماء فكاد يبيضُ مني الماء

ولكنَّ صخّة المودّة تستر السجّة الطليّة ، فعين الرضا عن كل عيبٍ كليلّة .
ولله درك ما أجلّ فضائلك ، وأرقّ شمالك ، وأصحّ ودادك ، وأبرّ
فؤادك .

قلو صوّرتَ نفسك لم تردّها على ما فيك من كرمٍ للطابع

ولعمري ان مثل هذا الباب ، لمَّا يتساوى فيه الإيجاز والإطناب . وكُرِبَ
وصلٌ تحسُّن في حواشيه الفواصل ، فعند التناهي يقصر المتناول . غير اني ما
أوردتُ من هذه الكلمات ، على قصوري في تأدية العبارات ، وضعفي في تأليف
المعربات ، لا لاستيفاء معانيها وجوه صفاتك ، وبيان أعراضها عن جوهر ذاتك ،
بل جعلتها حديثاً مُسنّداً الى الشوق والغرام ، وبجآزاً مرسلأ الى نشر حقائق
الهمود في طيّ القوادر والسلام .

(١) في الاصل (هياتِ) وهي تحريف من الناسخ على ما يظهر لنا ، لان الوزن لا

يستقيم مع هياتِ .

(٢) المرجون : اصل البَيْذَق الذي يرجّ ويبيض على النخل باباً بعد ان تُقطع عنه
الشاربينج غرابين .

(٣) هو مدار بيت من الشعر :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلّة كما أنّ عين السخطِ تُبدي المساويا

فصحتك ثم الفجر ثم الفجر

قصيدتان في الهجاء من نظم الشيخ ناصيف اليازجي

ان أول من ترجم الشيخ ناصيف اليازجي على ما تعلم ، هو الطبيب سليم دياب الطرابلسي ، تلميذه وصديقه ونديه وطيبه في مرضه الاخير^(١) . وما رواه دياب عنه انه « لم يُسمع له كلمة بذينة قط في حديث ولا كتابة ، ولا هجا احداً ولو هُجى ، ولا طعن في عرض أحد^(٢) ... » وكل من كتب عن الشيخ ناصيف رجع الى ترجمة دياب أولاً واقتبس منها ونقل عنها هذا الجهد الذي اجمع عليه جميع مؤرخي حياة اليازجي^(٣) ، حتى ان الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاساتذة ومحرمها ، ذكر هذه المبرة في رثائه الشيخ ناصيف فقال :

ما كان يهجو ولا يُجى ولا حُجبت ذكراً قريته أحلاكُ حدثان
كانت أمرته عنواناً نبت على المصافة في سرِّ وعلان^(٤)
وصدق على كلام الشدياق بهذا المعنى ، الشيخ ابراهيم اليازجي في آخر رده عليه^(٥) .
غير انهم ذكروا للشيخ ناصيف بيتين في الهجو لا غير ، قالهما في مجيل وهما :

(١) راجع مجلّة «الجنان» السنة ١٨٧١ ، لمنشأها الملقم بطرس البستاني ، صفحة ١٥٠ و ١٦٠

(٢) الصفحة ١١٥ منها .

(٣) من الغريب ان تُصدر مجلّة « النفاث » البيروتية ، لصاحبها انيس عيد الخوري ، عدداً خاصاً في ٣٢ صفحة عن اليازجيين ، بتأنيده نقل رُفَات الشيخ ابراهيم اليازجي من مصر الى لبنان سنة ١٩١٢ ، محبّراً بقلم كامل حميه ، وان يضع الاساذ عيسى اسكندر الملوّف كتابين مختصرين ، الاول في تاريخ المشايخ اليازجيين في ١٩٥ صفحة ، والثاني في تاريخ اصهارم وبناتهم واباطهم في ١٩٧ صفحة بقطع غن ، مطبوعين بالمطبعة المخلّصية - صيدا ، لبنان - سنة ١٩٦٥ ، وان يجمع ميخائيل رحمه دواوين الشيخ ناصيف الثلاثة ، في ديوان واحد ويطبّعه بنفقته بالمطبعة الشرقية ، الحدث - لبنان - ١٩٥٦ ، مصدراً بترجمة الشيخ ناصيف بقلم سبطه امين الحدّاد ، ولا يأتي واحد من هؤلاء بترجمين الشيخ اليازجي الكبير ، على ذكر ترجمة دياب الموما اليها .

(٤) راجع جريدة «الجوائب» ، ١٠ ايار سنة ١٨٧١ ، العدد ٥١٩ ، وكتابنا «الشدياق واليازجي» ص ٦٥ ، مطبعة المرسلين اللبنانيين - جونية (لبنان) سنة ١٩٥٠ ، في ٣٥٢ صفحة بقطع كبير .

(٥) مجلّة «الجنان» السنة ١٨٧١ ، الصفحة ٨٤٢ ، وكتاب «الشدياق واليازجي» ص ١٢٩

قد قال قومٌ إنَّ حبزك مالحٌ والبعض أثبت بالحلاوة حكمة
كذب المسيح بزعمهم في طعمه من ذاقه يوماً ليرف طعمة
كنا نقرأ ونسمع أن الشيخ ناصيف لم يهجُ أحداً في شعره ، ونحن غير
مصدقين أن شاعراً مثله مطبوعاً جرّاد القريحة يقرض الشعر في ظروف شتى ولم
يخطر له مرّة نظم شعر في المهجر ، وهو يعيش بين الناس ويخالطهم ويعاشرهم ،
والشاعر كماثر الناس بحسن ويتأثر بما يرى ويسمع ما لا يستطيع ذوقه وينفر
منه طبعه ، لا بل أن الشعور فيه بالغ حدّ الارهاق ، فلا بدّ من أن تستقرّه
يوماً واقعةً حاليّة أو نفرةً من أحد فيتأفف ويتبرّم ، وتضطره الى ارسال كلمة
ملام أو هجو نثراً أو شعراً ، لأنه لا يستطيع أن يصدّ تيار شعوره عن الانطلاق
والانفلات عندما يثور تأثره ويفور قأؤه .

وهذا القس جبرائيل فرحات (المطران جرمانس) بالرغم من ترّده وعلو
كعبه في العلم والفضيلة ، نراه يعجز عن اخفات صوت شاعريته وكبح ميله
عندما يرى ما يرى من تعنيف القس جبرائيل حوّاً (المطران جبرائيل) ابن
مدينته ، ورهبانيته وخادعته ومما كسبه له في بعض شتّون تتعلق بحجّر الرهبانية ،
عندما اجتمع به في دير مار بطرس ومرجلين برومة العظمى ، فقال فيه سبعة
ايات من الشعر هجاه بها ثلثاً اليه المخادعة والمصانعة والمظاهرة بفعل الخير .
وهذا أولها :

يَمْرَجَلِينَ صَادَفْنَا فَمَالَآ تُذَكِّرُنَا فَسَالَ الْمُنْتَرِبَا
بَانَسَانِ أَرَانَا الْخَبْرَ لَفْظَا بَلَا مَنَى فَنَحْنَاهُ مُنَيَّنَا

وما برحنا غير مصدّقين أن الشيخ ناصيف اليازجي لم يهجُ أحداً في حياته ،
حتى وقفنا له على قصيدتين خطيتين في المهجر بجهولتين غير منشورتين في اجزاء
ديوانه الثلاثة : النبذة الاولى من شعره ، ونفحة الريحان ، وثالث القرن ،
وهما لا تعدّحان في عرض الشيخ ولا تنقصان من كرامة مهزله . الاولى قالها
في رجل رغبير أكوّل ، وهي مدوّنة في الصفحة ٤٨٨ من المخطوط دير الشير ،
تحت رقم ١٣٣ عدد ٤٦ ، الذي أتينا على وصفه . والثانية ، وقد سُتل نظهما ،

(١) قوله : أَرَانَا الْخَبْرَ لَفْظَا الخ ، كناية عن انه يُخادع يدحُ الخبرَ ويخبئه ، ويدمُ
الشّرَ ويرنكبهُ (ديوان المطران ص ٤٤٠)

في احد المغنّين المتعرضين لنظام الشعر ، مرقومة في صفحة ٤٥٢ من المخطوط المذكور .

واليك نص القصيدتين بعنوانيهما :

الفصيدة الاولى

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في رجله » :

سبيلك أَنَّهُ أَهْلاً سَيْلِ	اذا استنيتَ عن ذكرِ جميلِ
أمرُ القومِ أحمقُهم فَوَادَا	وأشقى الناسِ أربابَ العقولِ ^(١)
وما انتَ الجَهولُ اذنَ ولكنَ	جَهولٌ مَنْ قَسَّكَ بِالْجَهولِ
اذا طابَ الفتى بِالْجَهْلِ نَفْساً	فأهونُ ما يُرى وَجْهَ المذولِ ^(٢)
مَنْ رمتَ الكرامةَ من لثيمِ	فإنَّكَ طامعٌ بالمتجملِ
وَمَنْ ركبَ الحمارَ فجاءَ نِيو	تعظمَ فوقَ فرسانِ الميولِ
نظمتُ بِكَ القويضَ وَبِى اعتذارُ	الى الرحمنِ من شرِّ الفضولِ
فلا هجواً ولا نصحاً ولكنَ	أردتُ بِذاك انْ أَشْفِي غلِي
كَأَنَّكَ صخرةٌ في البيتِ لَيْستَ	سوى للضيقِ وَالْجَمَلِ التَّيْلِ
وليتكَ لو حكيتَ الصخرَ صوماً	فلستَ سوى شروبٍ أو أَكولِ
بلادةٌ أَثيبُ في جَهْلِ طَفلِ	ورقتهُ أَرْبِ في أَكلِ عُولِ
حقُّ وَضعِ الطعامِ لَدَيْكَ شُئْنَا	هجومَ الوحشِ في جَدِّ القَبْلِ
نُلاطِمُ كَتِّكَ الأخرى وَنُدْمِي	ثَنَّاكَ الأَصابعِ كَالنُّعْمِ
ونسحَ مِنْكَ دَمْدَمَةً وَنَفْخاً	كَتَفْخِ المَرَّةِ أو نَحْطِ المَجُولِ
نرى أَلْفَنَاتِ ^(٣) حَوْلِكَ مُنْهاتِ	قد استغنى عن ذَلِكَ ^(٤) الفُؤُولِ
وللرُغْثَانِ ^(٥) بينَ يَدَيْكَ صوتُ	كصفِ الرِّيحِ في وَرَقِ النخيلِ
فما يَنْجو طَعامُكَ مِنْكَ حتى	تظنَّ حشاكَ من بَعضِ الطُّبُولِ

(١) ان مَنِ هذا البيت مُقتبس من قول المتنبي :

ذو النمل يمشى في النعم جليلٍ وأخو الجمالة في الشفاعة ينم

(٢) الحفنة : الفصمة الكبيرة ج جفن وجفان وجفانات .

(٣) ذَلِكَ ذَلِكَ الشيء : فَرَكَةٌ ودَعَكَةٌ .

(٤) الرغيف : الكتلة من العجين . ما رُقِقَ وَخُبِرَ شُجِ أَرغَفَ وَرُغِفَ وَرُغِفَ

وَرُغْثَان . ويظهر ان الحُبْز في عهد الشيخ ناصيف كان يابساً حتى يُسحق لكره في يد منجود ، صوت كصف الرياح

ولا يُحصى رجبك إلا إذا كثبوا به علم الأصول^(١)

يُفك لا تواحدني لأنى
صفتك ندهش الألب منها
لقد عالجك فكل هذا
إذا صار الدوا داء علنا
مجنونك ثم أمجرو ثم أمجرو
وما هذا بجرك غير أنى
مجنونك ليس عن أمر قليل
فأنت على النبالة في المحول
فزاد علاج سقمك في التحول
بأن الحب من نفس الدليل
الى أن تستقيم على السيل
ذكرت به مقدمة الفصل

الفصحة الثانية

«وسئل (الشيخ ناصيف اليازجي) كلاماً في أحد المتعرضين لنظم الشعر فقال:

تخل الكلام لأعالي يا قائل
أقوض عليك ولست أول جاهل
لو كان نظم الشعر مرد كلام
لومن العجائب ان يطاعن أعم^(٢)
قلم قبل بالشراء اتهم^(٣) ثم
قد يكذبون على الباد وأنت قد
دع ألبا الشرور شرك أنه
لما رأينا أن شرك ناقص
صيرته سباً لمجونك لاحقاً
لو لم تبين آياته بين الردي
ودع ديوان نشئت كأنما
ضمت فن البديع فلو حوى
ونبع المابل وويح صرب عروضة
هو جمعة فيها السهام قوائل
جفتا تفرق منه دمع هائل
فلقد نكسر والتفت فواصل

(١) عبارة عن . . . هاتى كلمات فطمت بقرض تجليد هذا الكتاب .

(٢) الأعم : يابس اليد (في الاصل) .

(٣) وردت في القرآن هذه الآية : والشراء يقيمهم الناون . لم تر أنهم في كل واد

يحيون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون (سورة الشعراء) .

تأتي برافره وكامله (١) وما
 أنسبت أن الشريفة أبحرا
 ليت أنسلك في تابين ورد
 وأصرت علم النحولية عايت
 لما وضعت عليه كذالك مانبا
 عيب عليك وأنت أشيب لمة
 فأجب فزادك إن أتى لك شاهد
 لا تحسب الشمر كأس مدامة
 هو سيد لم يرض منك ؛ إنه

عذرا بحق بديع نظمك صحة
 ما كنت بالهاجي سواك وأثا
 وإعلم بأن الشمر أصعب مركب
 كتلت مناقبه وفيك نقائص

[للسفال صله]



(١) الرواير والكامل : بجران من أبحر الشمر .

* أخبرنا الاب اغناطيوس ماسين حرب الجيلي أحد أبناء رهبانتنا اللبنانية المارونية،
 البالغ من العمر السنة الثامنة والثمانين المستعم بعصه النفل والجنم ، تقلا عن غيره . قال ما
 هو بيتاه : قصد الشيخ ناصيف اليازجي زيارة أحد اصحابه في بيروت ، ولما بلغ قرب الدار
 رذت السماء ، وأذ قرع الباب استرقه البواب دينا يدخل على صاحب الدار ويتأذنه في
 دخول الشيخ الذي ظل منتظرا خارجا ، فبكت ثيابه . وأذ عرف صاحب الدار إن الطارق
 هو الشيخ ناصيف صاح في خادمه قائلا : ويحك ! هذا الشيخ ناصيف اليازجي عجل فافتح
 له . ولما دخل الشيخ وجلس ، سأل البواب : ما اسك ؟ اجاب : اسي يارد . قال
 الشيخ بديجا :

يا يارد غلطوا بنقطة بياي ما أنت إلا بارد موه سيج
 نأ لدار أنت بواب لها كيف الذي يأتي إليها يفرج

ميسر غير معروف لمار يعقوب السروجي

نشره الموسيدور الدكتور جرجس كراف

نوطه

من
المعلوم ان عددًا وافرًا من الميامر والمداريس وُجدت تحت اسم يعقوب السروجي المؤلف السرياني الشهير المتوفى في سنة ١٥٢١^١ . ومن المعلوم ايضًا ان بعض هذه المصنفات حمل خطأ اسم المؤلف المذكور . وليس من المحقق ان الميسر الذي عُرِضت على نشره هنا هو . تأليفه .

ولقد نقانا النص عن نسخة من المخطوطات العربية المحفوظة في خزانة الكتب العمومية في مونيخ من بلاد بافاريا^٢ . وهي تحمل العدد ١٠٦٦ . وهذه النسخة مع خمس نسخات اخرى اشتراها منذ ثلاث وثلاثين سنة الدكتور كروتز (Grote) الذي جمع كثيرًا من المخطوطات اثناء رحلته الى المشرق وتوفي في سنة ١٩٢٢ . ان الميسر الذي نشره الآن قد وُجد كما ذكرنا تحت رقم ١٠٦٦ في الورقة الاولى من مخطوطة يبلغ عدد صفحاتها اربع عشرة صفحة وكلها نُسخت بذات الحُط الذي نُسخت به جميع الكتب العربية في دير مار سابا ودير طور سيناء في القرنين التاسع والعاشر . ونحن نعلم ان الميسر الذي بين يدينا قد نُسخ حوالي سنة ٩٠٠ م ، اي في زمن الكتابة بالحروف العربية .

ان الادوات هي من رقّ والنص العربي مخطوط فوق النص السرياني بحروف اسطرخجية ممحوة ولا يُرى منها الا اليسير .

اما الورقة الاولى فطولها ٢٣٠ ملسمترًا وعرضها ١٣٥ ملسمترًا والصفحة الاولى تحتوي على ٢٢ سطرًا والثانية على ٢٠ فقط . ولقد اُهملت نقط التمييز والحركات ما خلا الضمة في بعض الاحيان . ونجد في لغة المترجم الميزات الخاصة بالمؤلفين

A. BAUMSTARK, *Geschichte der syrischen Literatur*, Bonn 1922 (١)

ص ١٤٨-١٥٨

G. GRAF, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I. Bd. (Studi e Testi 118), Città del Vaticano 1944, pp. 444-452.

Bayerische Staatsbibliothek in München. (٢)

الاولين من النصارى المتعلمين اللغة العربية^(١). ولذلك فهذا الميسر الذي بين يدينا يُظهر لنا نشأة الاداب المسيحية بلغة العربية.

والمخطوط المذكور يتضمن^١ بعد «المراثي» ثلث قطع وهي : ٢ «معرفة وجود رأس يحنّا القديس المسجد النبي المقدم المحدثان الشهيد الكاروز ماري يحنّا» وهي مقولة عن اليونانية (fol. 2^{re}-5^e). ٣ « من قول القديس ثاوفلس بطريرك الاسكندرية قاله على الاعمى المولود من بطن امه » الخ (fol. 5^e, ٦) وهو غير معروف بين تأليف البطريك ثاوفلس وينقصه الختام . ٤ « من قول يحنّا فم الذهب قاله على هيرودوس عندما هانوه الجوس » الخ (fol. 7^e, ٨, 6^e) لا يُعرف في محل آخر وهو بغير ختام .

فاذا قابلنا بين المخطوطة العربية انما لة رقم ١٠٦٦ المحفوظة في مونيخ وبين صفحة اخرى من مخطوطة سينائية مصورة في كتاب « الدروس السينائية »^(٢) (العدد ١٢) ، يظهر بوضوح ان القطعتين هما من سجل واحد اي من السجل العربي العدد ٥١٤ في دير طورسينا . ولقد درست المخطوطة في « الدروس السينائية » العدد ١٢ الصفحة ١٣ وفي ١٢ وفي ١١ « Expository Times » ١٩٠٢ ص ٥٠٩-٥١٠ ، واذا ما قابلناهما وجدنا ان لهما الطول نفسه وعدد الاسطر - وهذا مهم جداً - والكتابة نفسها من عربية فوق وشرقية تحت .

ويحتوي « رق » دير طورسينا (العدد ٥١٤ من المخطوطات العربية) في النص الاول اربع عظمات من يعقوب السروجي وبعض تنف من حياة الشهيد . اما النص السرياني فهو اقسام من التمجيد يحنّا .

وفي السنة ١٩٠٢ فقط استطاعت السيدة جيبسون (Gibson) ان ترى في دير طورسينا « الرق » الغير الكامل . وينتج من هذا ان قطعة مونيخ (العدد ١٠٦٦) قد فصلت من زمن بعيد عن المخطوط الاصلي .

Cf. G. GRAF, *Der Sprachgebrauch der ältesten christlich-aramäischen Literatur*, Leipzig 1905.

Forty-one Facsimiles of dated christian Arabic manuscripts with (١) text and English translation, by Agnes Smith Lewis and Margaret Dunlop Gibson, *Studia Sinaitica* N° XII, Cambridge 1907, Frontispiece: cf. p. XVII.

(fol. 1^r) من قول مارى يعقوب الرومى على اللصين مرأى

ما احسن الاعمال الداحلة للذي ينظر بالحجة ويفحص فى حكمته البر
ويسلك فى طريق العدل المعدة لجميع القديسين : بين ايضاً جدي^١ اللصين
المصلوبين مع بن الله . صلب احدهم عن يمينه . والآخر عن يساره : الطوبا
للذي عن يمينه . والويل الكبير للذي عن يساره . صلب ربنا بينهما وجلا
يتدارسا فى سبيه : واحد كان يقول ان كنت بن الله فخلصنا منك . والآخر
كان يتنادى ويقول بامانه اذكرنى يا رب اذا اجيت^٢ :

بن الشمال الذي لم يؤمن به باصوات القذيفة^٣ كان يصرخ ويهدف عليه
ويقول خلصنا منك ان كنت بن الله اتزل من الحشبة لنؤمن بك^٤ : اجابه
بن اليمين وقال له ايه الرجل الهايى الجمل لسانك ولا تجدف على بن الله الملقى
على الصليب منجل الحطاة :

قال بن الشمال ما اصدق انه بن الله بعد المصايب الذي ارا به من قد سمحت
بيده ورجليه ومن قد اقتدعوا على لباسه ومن قد جعل على راسه اكليل الشوك
بعد هذا كله من يصدق انه بن الله . قال بن اليمين ان كنت انما تفحص عن
مصايبه وقد عموا عينك الباطنة . فانظر الى الارض التي قد ارتعدت من
اساسها وبغمرته ثبثها لئلا تهلك سريعا :

قال بن الشمال انظر انت الان الى عظيم الكهنة الذي بيديه خرق ثيابه
ويصيح قايل قد خق عليه الموت لانه صير نفسه اله^٥ فمن يؤمن به انه الله .

قال بن اليمين انظر انت الان الى الشمس الذي اظلم واخفا نوره المضي
(fol. 1^v) وتنطت الارض بالظلمة وصرخو^٦ الموت من قبورهم . هذا يقين

بن الله :

(١) الصواب : بين ايضاً جدر .

(٢) الصواب : فى ملكوتك (لوقا ٢٣ : ٤٢)

(٣) كذا فى الاصل

(٤) متى ٢٧ : ٤٢ ومرقس ١٥ : ٢٢

(٥) والصواب : الاما .

(٦) اصلح : وصرخوا .

قال بن الشمال انا اراه في كل هواة وذُل لا يُحصا مقروع بالقصبة مجروح
الجنب وامه واقفة حزينة منكسة الرأس وجميع تلاميذه قد هربوا . قال بن
اليسين هذا الاتضاع الذي تراه فعله منجل ادم اتضع سيد المارك ومنجله صعد
على الصليب وصلب الحطية ونزل على الموتا ليعتقمهم^١

قال بن الشمال هوذا هو مكتوف كيف يحل وثاق ادم كما تقول . كان
ينبغي له ان يحل نفسه بدياً^٢ وحينئذ يتم بحل ادم فنيقن انه قادر على ما يريد .
قال بن اليسين ايه الوقاح المرح كم تكثر الكلام كانك شامت^٣ بئوت الوحيد .
الحجارة والصخور شهدت انه الله وقلبك انت لم يلين لان الشيطان قد
سكنه^٤

قال بن الشمال ظهره مضروب^٥ بالسياط وهو عريان معلق على الحشبة .
والاحيار يتهورن به ويمركون رؤوسهم^٦ عليه وقد اعطوه في وقت عطشه خل
ليشرب . فمن يصدق انه اله كما تقول^٧ قال صاحب اليسين المجد لذلك الذي
احب برحمته ان يقبل عنا المصائب وتعالاً على خشبة الصليب . ررفعنا وجلسنا
عن عيئه ودعانا جميع الى فرح وايئنه^٨ له السبع والعظة والقدرة وعلينا رحمته
الى دهر الداهرين امين .



(١) في النسخة : يدا . والصواب : يده .

(٢) اي شامت وفي الغالب شمت .

(٣) في النسخة غلطاً : مصروب .

(٤) اي رؤوسهم .

(٥) والصواب : وايئنه .

الرسالة المشفية للأمراض المشككة

في المراقبا

رسالة طيبة خطية (تابع)

تأليف

أحد العلماء المتبحرين وأجيد الفضلاء المدققين

أوحد زمانه وجاليتوس صره وأوانه

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عني بنشرها

الاب انطونيوس شلي اللبناني

الفصل التاسع

في بيان تسكن اعراض المراقبا

إعلم ان القاعدة الكلية أولاً هو علاج المرض لانه اذا لم يُزَلَّ المرض فلا يزول المرض الحاصل بسببه ، والحال ان في هذا المرض قد تحصل اعراض رديئة كما تقدم بيانه فيلزم أولاً :

انه اذا لم تسكن الاعراض فيعرض ضعف لقوى العليل بسبب المرض الطارئ عليه فيكون ذلك سبباً لاشتداد اصل المرض .

واعلم ايضاً ان اعراض هذا المرض هي خمسة :

الاول : السهر ، وهو يحدث من صعود الانجزة الحارة اليابسة الى الدماغ ،

ومن حيث انه يُضني ويضعف الروح النفساني ويورث الضعف جميع القوى ، فلا يمكن علاج اصل المرض ما لم تسكن الاعراض .

وثمما يجلب النوم ويسكن المرض هذا المستحلب . وهذه وصفته :

بزر بطيخ . وبزر جبس . وبزر قرع وبزر خيار . ومن كل خمسة دراهم .

وثلاثة دراهم بزر خشخاش ابيض . وعشر لوزات مقشّرات

تُدق هذه اللبوب بهاون من رخام وتُحلُّ بماء الشعير المقشور على قدر الكفاية حتى تصير كاللبن وتوضع ، ويضاف إليها مقدار من شراب النيلوفر وهي سخنة . تعطى للمريض دفعة واحدة عند النوم في العشي ، فإذا لم تقب في تنويمه فلتُفسل رجلاه بهذا المطبوخ سخناً لينكسر البخار . وهذه صفته :
بابونج . خطمية . حشيشة الرجاء . خبازي . من كل قبضة . وخمسة دراهم من بزر السبت . وورق قصب قبضتان .

تُطبخ بماء على قدر الكفاية وتُفسل الرجلان بها الى الركب وهي ساخنة على قدر الاحتمال .

وان كانت الاعراض متعاطلة ولم تقب هذه المعالجة بالمطلوب ، فلتُدهن الاصداع وداخل الازن وباطن الكفين واسفل القدمين بمرهم اليوبليون ، اي مرهم الحور . واذا لم تقب ايضاً فيعطى له درهم من معجون الزكة ويُسقى عليه المستحلب المذكور آنفاً .

الثاني : وجع المعدة ، لأن الطعام يفسد في المعدة فيحصل منه ريح ومن تعدد الريح وجع .

فن هذا الوجه ينبغي اعطاء مقي رخيف ، لان القيء اولاً يُخرج الطعام القاسد . وثانياً يُخرج البلغم والريح ، وهذه صفته :

يُعطى له مئة درهم ماء الزهر مُسخن بزيادة ، وبعد مرور نصف ساعة يُدَّ اصبعه في حلقة ريتية . وان لم يقدر على القيء بهذا العلاج فليستعمل هذا المقي . وهذه صفته :

يؤخذ خمسة دراهم بزر فجل . وثلاثة دراهم بزر السبت . وثلاثة دراهم أصل بطيخ . ويطبخ بنصف أوقية ماء الى ان يبقى نصف الماء ويُصْفَى ويُخاف اليه ثلاثون درهم سنكجيين . وقبل ان يبرد يشربه دفعة واحدة .

وان كان بهذا العلاج لا يتقيأ ، فيضاف الى المطبوخ الثاني درهم غاريقون مسحوق ينتقع فيه اثنتي عشرة ساعة ويُصْفَى ثم يشرب . وبعد المقي يدهن المعدة بهذه الادوية . وهذه صفتها :

دهن مصطكي . دهن ورد . دهن سنبل هندي . دهن جوزبوا . دهن افنتين .

'تخلط هذه الادهان بعضها ببعض ويدهن بها المعدة مسخنة . او انه يؤخذ رغيف خبز سخن يُفسخ نصفين ويُنقَط على نصفه الواحد بضع نقط من الادهان المذكورة ويُرش عليه من هذا الرشاش ويُوضع على المعدة . وهذه صفة : ورد يابس . وزهر بابونج يابس . ومصطكي . من كل درهم . يُسحق كالعبار ويُرش على نصف رغيف الخبز سخن مع الادهان المذكورة ويوضع على المعدة كما قلنا آنفاً .

فاذا لم يسكن وجع المعدة في القوي . فليستعمل مثقالاً من الحب المركب من التمرتين والفاريقون المار ذكره في ما سبق ، لان هذا الحب يُخشن المعدة والفضلات الباقية يجذبها الى الامعاء .

الثالث : الحفقان من كونه يضعف الروح الحيواني والقلب . فالمرضى يئس من حياته ، من حيث ان القلب هو من الاعضاء الشريفة فلا يعود له طاقة على تحمل شيء من اليأس .

فاذ يعرض الحفقان للعلل ينبغي له ان يتناول الادوية القلبية ويشرب عليها ماء الاستورزونيرا وماء لسان الثور وماء البادرنجيون .

وان كان بهذا العلاج لا يسكن ايضاً فليضع على القلب هذه اللصقة : يؤخذ درهمان درياق الفاروق البندقي . ودرهمان معجون القرمز . وثلاثة دراهم معجون الدياسنطور . وثلاثة قراريط زعفران . وثلاثة دراهم ماء الزهر . تخلط هذه الاجزاء بعضها ببعض وتُنلى بآء الزهر على نار لينة الى ان يذهب الماء ، فتوضع على خرقه وهي حارة على قدر الاحتمال لحقاً على ناحية القلب . فان كان لا يسكن الحفقان ايضاً فليكرر هذا العمل دفعات متعددة . وفي اثناء هذه المعالجات ينبغي ان لا يغفل عن اعطاء الحفنة لان اكثر السبب واقع من صعود الانجزة .

وان كان لا يفي هذا العلاج ايضاً ، وكانت الية في جانب الطحال ، فليوضع على ذلك المكان اربع او خمس كلسات حجامه من هوا من غير دم . وان كانت من جانب الكبد فلتوضع الكلسات في ذلك المكان . وان كانت لا تفي هذه المعالجات كلها ايضاً ، فليعط المريض عشرين درهماً من شراب تحب الحديد والفولاذ المقدم ذكره . (عن مرتاد الطيب) لان المذكور

اصطنع هذا الشراب لأجل الحفقان العارض بسبب البدة .
 وأنا الفقير أبليت بمرض المراقيا ، واذ كان يعرض لي خفقان جرّبتُ هذا
 الشراب فشاهدتُ نفعه وافراً عظيماً .

وقال وستراطوس الحكيم : انني استصوبتُ استعمال الادهان التي استخرجها
 حكماً . الافرنج من قشر الأترج والدارصيني بالاستقطار في معالجة الحفقان
 العارض بسبب الريح . — — — — —

وأنا الفقير أيضاً لما جئتُ من بلاد الافرنج الى القسطنطينية في الفلطة " ،
 جرّبتُ هذا بنفسني فشاهدتُ نفعه عياناً بلطف الله وحرله .
 وهذه هي طريقة استعمال الادهان المذكورة :

قشر الأترج والدارصيني يُستقطر منه خمس نقط في مَرَق الدجاج او
 في طَبِخ البادرنجيونه المذاب فيه شراب العنبر ويُشرب كالقهوة .

الرابع : انه يحصل في الامعاء وجع مشابه للقولنج ، وسبب ذلك هو انه
 يتنفذ الى طبقات الامعاء . ريح فيورث وجعاً تمديدياً خصوصاً اذا كانت طبيعة
 المريض مقبوضة فتجتمع الفضلات وتحدث ريحاً مؤلمة فيحصل من ذلك وجع
 الامعاء . وعلاج هذا المرض الحقة المتوسطة . وهذه صفتها :

خبّازى . حشيشة الزجاج . خطيه . ساق . لسان الثور ، من كلّ قبضة .
 وعشرة دراهم بسفايج طري . مرضوض . وثلاثة دراهم رازيانج . ودرهمان
 بزر كتّان . وثلاثة دراهم اكليل الملك . وثلاثة دراهم اكليل الملك . وثلاثة
 دراهم زهر البابونج . ودرهم ونصف غاريقون .

تطبخ هذه الاجزاء بماء على قدر الكفافة . ويؤخذ من الماء المطبوخ
 مئة وخمسون درهماً ويُلقى عليه عشرة دراهم خيار شبر . وثلاثون درهماً
 شرخست . وخمسة وعشرون درهماً دهن بابونج ويحتقن به . فهذه الحقة تحلّل
 الريح وتخرج الفضلات .

وان كان الرجيع لا يسكن بهذا العلاج فلنعمل هذه التسييدة . وهذه صفتها :
 يؤخذ خبّازى . وحشيشة الزجاج . وخطمية . وزهر بابونج ، من كلّ

قبضة . وخمسون درهماً بزر كتان . وخمسة دراهم بزر حلبة . وخمسة دراهم سبت . وعشرة دراهم اكليل الملك .

تطبخ بأربع اواق ماء الى ان يبقى نصفه، ويُلقى على الماء المطبوخ اسفنجة جديدة قبل بسه قبل ان يبرد ، وتوضع على المكان الموجوع . وبعد ترفع الاسفنجة ويمسح مكانها ويدهن بهذه الادهان سخنة وهي :

دهن لوز حار . ودهن زيتون . ودهن بابونج . ودهن انستين . ودهن دجاج . ودهن وز .

يُخلط بعضها ببعض وتُسحق على نار لينة قليلاً، ويدهن بها مكان الوجع وان كان لا يسكن ، فيؤخذ شحم الحروف المذبح طريئاً وهو سخن قبل ان يبرد ، ويوضع على محل الوجع .

: الخامس : وجع الكلى ، فانه كما تقدم القول في أوّل هذه الرسالة ، ان الطبيب الجاهل لا يدري بان هذا الوجع عرض حادث من حوادث المراقبا فيعالجه معالجة حصاة الكلى ، مع انه عرض لا مرض . ومن حيث انه عرض فعاية علاجه بالحقنة المتوسطة . فاذا لم يسكن بالاحتقان ، فلتوضع على محل الموجوع الادهان المتقدم ذكرها في باب معالجة وجع الامعاء .

❦ الفصل العاشر ❦

في بيان تدبير الاسباب السبعة الضرورية لاصحاب هذا المرض

اولاً يجب ان يكون غذا . صاحب هذا المرض ملوم الحرقان والجدايا والفرايج والحجال والدجاج . واذا كانت حرارته لا تريد على لحوم الحملان فهي مناسبة ايضاً . واذا كانت اللحوم المذكورة مشوية فجايزة ايضاً . ومن انواع السك ، الاسماك الصخرية فاذا اشتهاها المريض فلا بأس من تناولها ، لاسيما اذا عصر فوقها ماء الليمون الحامض ، ولكن اجتناب مداومتها أولى وانسب . وفي أيام الشتاء . يجوز تناول البيض الطري . من يومه اذا صار نيرشت ، فيتناول صفاره . ومن الحشرة السبانخ والخس ولسان الثور يُخلط بعضها ببعض . واذا طبخت اللحوم المذكورة بها فهي مناسبة . وأما اذا كانت بلسان

الثور وحده فهي أنسب وأنفع أيضاً . وشربة الأرز واللبن (واللبن) من الأرز فلا بأس منها .

وليجنب اللحوم المقددة والمسلحة والبصطرمة والصوجق وما يشبه ذلك من لحوم القديد سواء كانت بالملح أو بالدخان فإنها مضرّة جداً . وأما لحم المعز والبقر والأرنب والتزال والآيل والسُنّ والوزّ والبَطْ فهي كلّها مضرّة جداً . ومن السمك ، السمك الناشئة في الزمات^(١) والامحاك البحرية الكبيرة فهي مضرّة ، والخبز الفطير مضرّ أيضاً ، كذلك الاطعمة المصنعة (المصنوعة) من السكر والعمل فهي مضرّة جداً لتسديدها (تسبب السدد) وسرعة استهلاكها الى الصفراء ، واذا احتوت تستحيل الى السوداء . ومن الخضرة الباذنجان والكرب فإنها ضارّة .

ونتيجة الكلام ينبغي الاحتراز من الاغذية التي تولّد أخلاطاً سوداوية وأخلاطاً غليظة لزجة . ومن الاطعمة التي تولّد فضلات زائدة . وينبغي اجتناب الاطعمة المصنعة (المصنوعة) من المعجن والالبان على الاطلاق .

ومن جهة المشروب فان كان الليل من الاغنيا . والموسرين فليستعمل^(٢) المغلي بمرور الطرقات . واذا لم يوجد ذلك يُطهى له الماء بأصله لان الثور مع مثله من الصندل الابيض ، وبعده يُطهى به سَكَّة (سيكة) ذهب خالص بحمّة دفات متعدّدة ويشرب منه موضع (بدل) الماء . واذا طُقي بالماء القراح يجردّه يجوز ذلك .

وأما اذا كان فقيراً معسراً فيُطهى له الماء بقولاذ افرنجي محي سبع دفعات . والنتيجة لا يجوز له شرب الماء الحام أصلاً . وليجذر من شرب الماء البارد والمبرد بالتلج والجليد . وعلى الخصوص ينبغي الاحتراز من الحركات العنيفة والجماع لا سيّما اذا كان بعد الحمام . وليجنب الاشربة الحلوة جداً . - الحما اذا كان حلوا قليلاً فالشرب منها يسيراً فلا بأس منه ، لان الخلو يجملته يسبب السدد وهو عدو الطحال ايضاً . ولا بأس من زيادة النوم ، واذا امكن فليكن ثلثي ساعات لا أنقص . وينبغي الاحتراز من النوم في النهار . اما اذا

(١) يريد بالزيمات : البرك .

(٢) هنا كلمة منترعة من طرف الصنعة .

كان في الصيف فلا بأس منه لاجل تكميل الثاني ساعات ، وليكن ذلك ضحى . أما النوم في الشتاء فلا يجوز .
لا تجوز الحركات الضيفة لصاحب هذا المرض لانها تورث التدهن خصوصاً اذا كانت على الشبع . فأما الحركات المعتدلة فهي نافعة خصوصاً اذا كانت قبل مباشرة الطعام ، او بعده بربع او ثلث ساعة .
واما تدبير بقية الحركات المت الضرورية لاصحاب هذا المرض كالهوا ، المحيط ، والاستفراغ ، والاحتباس ، والحركات النفسانية ، فإبقاء تدبيرها الى الطبيب الحاذق الفطن ، أولى من ايرادها هنا كونها غير ضرورية .

تمت



ملحوظ

قد عُلّقَ بعض وصفات طبية متنوعة على الأوراق الأولى من كتاب «الانتصاب» هذا ،
والورقات الأخيرة منه ، على ما اثرنا اليه في توطيننا على «الرسالة المشفية» والرسالة
والوصفات ليست من صلب الكتاب بل خارجة عنه موصوفة دقيقتين عن خطه . ولما
كانت هذه الوصفات الطبية الدرية لا تخلو من الافادة رأينا ان نلحقها بهذه الرسالة
ونشرها على علاقتها ، وهذه هي بحرفها :

في الحيات والترولات التي من قبيل الدم

أولاً : اذا كان النبض شديداً وممتلئاً ويدق (ويضرب) بسرعة ، فيكون
من قبل دم . وفي بعض الاوقات لا يصير امتلاء بل يكون رقيقاً شديداً
وجتة مثل الحيط وتكون علامته حمورة في الوجه ، او وجع ظهر ، أو شكة ،
او تعب في الجسم ، فيكون من قبل دم . وأما بعد الفصاد فيفتح النبض
ويصير يدق (يضرب) .

ثانياً : في الحيات والشكات التي من قبل ضعف ، فيدق النبض احياناً
بسرعة واحياناً على مهل ولكنه يكون دائماً ضعيفاً لا شديداً .

شرح أول في الشربات

أولاً اذا كان من لزوم يجب ان يُعطى شربة لمن أُحسيت طبيعته (معدته)
بالقبض . ثانياً الشربة تنفع الصفراء والبلغم والدود وغير اخلاط في المعدة
والمصادر ، وفي سائر ما تلزم له التنقيات . فاذا رأيت في ثم احد نشوة او
على لسانه وسخاً او في فمه طعمة مذقة وليس عنده قابلية للأكل ، فيقتضي له
شربة . وهذه الاشارات تحدث مع المرض وبدون مرض ايضاً . ويوجد فرق
في الشربات ، فالذي يكون مهيباً بالحمى لا يُعطى شربة حامية ، ومن لم يُصب
بها فلا تضره الشربة الحامية . فهذه هي اشائر التنقيات واعطاؤها .

شرح ثان في اصناف الشربات

شربة أولى : جبلاً مدقوقة درهم ١ ، ملح طاريط درهم ٢ ، يُزججان بالماء
الساخن . فهذه الشربة هي للأخلاط الناتجة من غير سخونة (حمى) .

شربة ثانية : ستامكي منقاة من العرد درهم ٤ ، تخرج في ١٠ درهماً من الماء . وتغلى كالقهوة وتصفى ، ويذوب فيها ١٠ دراهم من افونجي ، ودرهم ملح طرطير ويشرب منها على الريق قبل الاكل اذ يكون الماء لا يزال فاتراً بعد . وهذه الشربة تنفع في الحيات .

شربة ثالثة : ١٠ دراهم ملح انكليزي ، أم ١٢ درهم مع الماء الفاتر موضع ملح الطرطير ، أم يوضع وحده في الماء الفاتر .

شربة رابعة : تمر هندي من ٤ الى ٨ دراهم يغلى في أوقيتين ماء . وهذا من المكملات الباردة يعطى في الحيات الصفراوية ، كل ساعة فتنجان . ثم من ٨ دراهم الى ١٦ درهماً تغلى في أوقيتين ماء حتى يبقى أوقية ويذاب فيه درهمان من ملح الطرطير فيصير مهلاً . وهذا ينفع في الحيات الصفراوية . شربة خامسة : يؤخذ راوند من درهم ٢ الى ٤ تغلى في ثلاثين درهماً من الماء . وهذا مهمل حام يعمل بعده قبضاً وله نفع في البرديات ويعطى أيضاً في مقلات الدم لمن يخرج منهم دم او غيره .

شربة سادسة : زبيب حلوا من ثقل ١٠ قحاحات الى ٢١ قححة ، يخرج بقليل من السكر ويؤخذ سقاً . وهذا ينفع في النزلات التي هي من قبل دم . وينفع ايضاً للدود الذي في الباطنة ، ويخرج ايضاً مع الجلبا ، ويوضع مع كل درهم جلبا عشر قحاحات ويؤخذ سقاً . وهذا ينفع الدود والصفراء التي هي من قبل دم . شربة سابعة : يؤخذ جلبا درهم ١٠ ومنح طرطير درهم ٢ . تذوب في نصف أوقية ماء ساخن ويشرب منه على الريق . وهذا القدر يعطى للسفن في البر ، ولا يجوز اعطائه في الحيات الثقيلة . وانما يعطى في الحيات الثقيلة منقح وهو هذا : ٤ دراهم ستامكي كما ذكرنا قبلاً .

شربة ثامنة : ان هذه الشربة هي مسيلة للدم واكثر نفعها يكون للنساء اللواتي تأتين الماده ضعيفة ولا تسري إلا قليلاً . أولاً درهم ٢ صبرا شقراً ، درهم ٢ مر حجازي ، درهم ٢ زعفران شمري . يذق كل صنف وحده ويحبل في بعض نقط من الفرق ويصنع حبواً ، كل حبة على قدر حبة الخنص ، ويعطى كل يوم عشر حبات ، خمس في الصباح وخمس في المساء . وهذا لا يعطى الا لمن كان جسمه غير دموي .

أما من كان جسمه دموياً ويحدث له منقص ولا تنشي العادة ، فليستعمل هذه الوصفة وهي : أولاً يلزم له القصادة من الرنجل . ثانياً وضع العلق . ثالثاً يغط خرقه في ماء البايونج أو ملح الطرطير أو ملح البارودي .

وايضاً ملح فوه ، وملح طرطير ، وملح بارودي ، وسكر على قدر هذه الاصناف . ثم تحضن وتمزج بعضها ببعض وتؤخذ سفوقاً ، في الصباح درهم ١ وفي الماء درهم ١ . وعوضاً عن القوة يوضع كبريت . وان وجدت طفرة أم حبوب في من حصل له هذا المرض فيجب اذ ذاك وضع الكبريت . واذا كان المنص قوياً يعطى من بعد القصاد المنشتر والحنتيت اجزاء متساوية وتجهل في عرق وتعمل حبوباً ، او تنقع في العرق وتوضع يومين أو ثلاثة في الشمس او قرب النار على يومين . وهذا نافع للريح السوداوي للنساء .

ثم يعرض لبعض الناس اصفرار وجه وتبجيج (ورَم) ، فهؤلاء لا يفهم الا برادة البولاد ويوضع معها المنشتر والحنتيت ، اجزاء متساوية وتعمل حبوباً مجبولة بالعرق او مع خواص الكينا او خواص عشبة القنطاريون .

شرح في المكشطات المبردات

الاول : ان الحيات التي تكون من قبل قوة الجلم يعطى لها ماء الشعير وحده المزوج منه درهم ١ او درهم ٢ ملح طرطير .
الثاني : ملح طرطير درهم ٢ ، ملح بارود درهم ١ يمزج بعضها ببعض ويذابان في رطل ماء .

الثالث : ليون شامي (حامض) خفيف وسكر وماء .

شرح في المكشطات التي تسمى في الحيات الناتجة من ضف الجلم

الاول : قمر هندي درهم ٨ سكر او عسل درهم ١٦ ، تولى في رطل ماء لكي ينقص الربع ويشرب منه . وهذا يعطى في الحيات التي هي من قبل الصفراء .

الثاني : يؤخذ من ماء الشعير نصف رطل وروح الكبريت ويوضع فيه لكي يصير حامضاً مقبولا .

الثالث : يؤخذ من الماء الصافي نصف رطل يذوب في فنجان عسل ويوضع

روح كدرت نسكي يصبر حاضاً مقبولا . ويجوز ايضاً ان تضع موضع العمل
فنبجان عرق يانسوني فهذه جميعها مسهلة للدم .
اما التي يحدث لها نزف دم مستديم فيجوز قطعه . اولاً يؤخذ شبة بيضاء .
تقل خمس قيات وسكر . تؤخذ في كل مرة سفوفاً .
ثانياً بعد هذه الوصفة يؤخذ قرفة أو روح القرفة مع الشبة أو وحدها .
وايضاً افيون أو روح الافيون أو عرق الافيون . ويجوز ان يوضع روح القرفة
وروح الافيون وروح الجاز مع بعضها أو روح القرفة اكثر . فهذه جميعها تقطع
الدم وتنفع الذي يصب دم . وان الملح ينفع ايضاً لبعث الدم فيؤخذ منه
سفوفاً مدقوقاً جيداً .

شرح اول في المنيات

اولاً المنيات : مثل ملح الانتيسون وعرق الذهب . وغيرهما لها نفع في
الاخلاط التي في المعدة كالصفراء والبلغم والدود والنم . ولا يجوز ان يعطى
المنشئ بالتدولات التي هي من قبل الدم والحميات التي من قبل الدم الا بعد
النضاد في ثاني يوم أو ثالث يوم .
واذا كان في المريض قبض فيعطى حقنة قبل المنشئ . وأما الذي يكون
متضائلاً من صدره فيعطى منشئاً خفيفاً مثل معجون بصل النار . وهذا المعجون
نافع لمن كان في صدره بلغم كثير .

شرح ثان في كم يعطى من الانتيسون منشئاً

أجيب انه يعطى من حد ثقل حبة قمح الى حد ثقل أربع قيات . وكل
ثقل قمحة يوضع معها عشرة دراهم ماء . على أربع مرات متتامة في كل عشر دقائق
يعطى منه الربع حتى يكمل ، وذلك على الريق في برهة واحدة .
ثم ان له منافع : اولاً انه يكون مليناً ومفتحاً وممرقاً ، فع المنيات
يوضع معها ثقل حبة قمح ويشرب منه في الصباح الى الماء . ومع المفتحات يوضع
كذلك . وأما مع الممرق فيوضع ثقل حبة من القمح ويعطى عند النوم .
وهذا المنشئ يعطى بحسب الفطنة على قدر الاجسام والعمر . فالذين هم صغار
يعطى لهم من حد ثقل ربع القمحة الى حد ثقل قمحة .

شرح ثالث في متنب عرق الذهب

اولاً ان متنب عرق الذهب يُعطى من حدّ ثقل عشر قبحات الى حدّ ثلاثين قعّة ، ويكون الشرش جديداً ، ويُدقّ عندما يعطى للمريض . وهذا يعطى ايضاً عندما يصاب احد باسهال الدم اي الزنطارية وهذا ليس هو مليناً مثل الانيسون بل انه يُخرج الاخلاط التي في المعدة من الفم فقط . وهذه الثلاثة مشقات تعطى سراً . في بعض امراض كالفالج ولمن شرب سماً ، وهي تنبت بسرعة وتخرج الاخلاط التي في المعدة فقط .

ثم انه يوجد متنب لمن كان شارباً سمّ فأر او سلباني او غير سمّ واسمه جاز ابيض . وفي لسان اللاتيني يسئ فيتريولوم . وهذا يعطى مسحوقاً جيداً مع الماء البارد . ويعطى منه مقدار ثقل عشر حبات قعح الى حدّ اربعين حبة .

في التربة الصخرية والقصة الحراء المساة ذات الحلب

اولاً يلزم للمريض الفصاد اكثر من كل التزولات . ومن الملتبات ، يؤخذ دهن لوز ، ومن افرنجني ، وسكر نبات ، وخيار شبر ، اجزاء متساوية . تؤخذ لعوقاً ، ويشرب فوق ذلك ماء شرش الحاقية فاتراً ولا يأكل أو يشرب شيئاً بارداً . واذا بقيت فضلات من المرض اي سكة ، توضع جرّاقة كبيرة موضع السكة .

في علامات تزولات الدم في التزل على العين اي الزمد

٦٢ يلزم له الوقاية من الهواء والذو . لانها مضرّان للعينين . علاج ذلك : اذا كان من حتى زائدة يلزم له فصد من شلش البدن في الزند ام من شاش الرأس ام علق اذا كان التزل خفيفاً . ويلزم القليل بقاء الورد : فنجان برر لعاب السفرجل خمس يزوات ثم اكثر ، وخل مرسلك ثلاث نقط ام اربع . ~~تخرج ببعضها ويغسل بها كل حقيقة مرة ، وينط شرطة ايضاً وتوضع على العين .~~ ومن الملتبات : يؤخذ مبرّدات مثل ملح البارد وملح انكليزي وملح طرطير وقر هندي ومصل وبزورات . واذا كان مصاباً بوجع زائد في رأسه يعطى شربة غاريقون وتربل ومن افرنجني . شربة .

اما التي يصير لها تزف دم بضعة ايام متواصلة ، فيجوز قطعه ، اولاً : يؤخذ شبة بيضاء ثقل خمس قعّات ، وسكر تزج وتتناول سفراً في كل مرة .

نَبِيًا . اليك هذه الوصفة : بُوْحِد قَرَفَة او عَرَق القَرَفَة او روح القَرَفَة مع الشَّبَّة او بدورها .

وما ينفع ايضاً : الافيون او روح الافيون او عَرَق الافيون . ويجوز ان يوضع روح القَرَفَة وروح الافيون وروح الجاز بعضها مع بعض ، او روح القَرَفَة وروح الافيون فقط . وكلما وجد خطر يعطى منها كل ساعة او ساعتين او ثلاث او اكثر . فهي تقطع الدم كما ذكرنا قبلاً . وانما الفصاد ينفع الذين هم في نصف العمرا اكثر من الذين هم في سن الشَّبَوِيَّة والشيخوخة . ويجوز ان يفصد الرجل اكثر من المرأة ، ومن كان جسمه دقيقاً يجوز له الفصاد اكثر ممن كان جسمه سميكاً .

٥

١٠ ترتيب المَلَقِ فيعلَق من ٢ الى ٨ عِلَقَات في مَرَّة واحدة . واذا لم يمسك المَلَقُ يجوز ان يُجرح الموضع في الجُم لِكِي يقدر ان يمسك . ولا يجوز رفع العِلَقَة من موضع مَسَكها ما لم تقع هي من ذاتها ، وبعد ذلك تُمسك من طَرَفها وتُمسَّد (تُمَصَّط) لِكِي يخرج الدم من فيها .

وللمَلَقِ نفع ايضاً : اذا كانت المرأة قد قُطعت العادة عنها فيوضع المَلَقُ في الجنب من الداخل ام قرب الرحم . ثم ينفع المَلَقُ في البواسير اذا انقطع الدم عن المريض في الخروج وحصل له من قَبْل ذلك شَكَّة في الحاصرة او نَزَل على صدره فيعلَق المَلَقُ على الخارج .

واذا صدف ودخلت عِلَقَة في الفم فيوضع فيه ثَلَج فتخرج . واذا دخلت في الخارج ام غيره فيوضع له ماء وملح فتسوت العِلَقَة .

صفة دواء ينفع المرض المسىء داء الرجفة

وَيُسَمَّى ايضاً هَرُ الحَيْط ، ويوجد منه فرع يسمى القَرَح او الفرحة . وهذا المرض في الغالب يحدث للصبيان الصغار ويكون سببه من قَبْل الاسنان او من قَبْل دود في الباطنة . يُؤخذ مسك ربع درهم ، وسُكَّر ربع درهم . يُسحق ويُترج ويؤخذ سقوفاً بماء الزهر وماء الورد كل ساعة فنجان .
ويوجد صفة دواء آخر وهو : يُؤخذ من خواص حشيشة البنج ثقل قمتين

او ثلاث مثلاً يؤخذ من الافيرن . وينفع الفسيل ، اي غسيل كل الجسم في
ماء الرماد (الصفوه) .

شرح في الحرائقات التي تصنع الحمودة فقط

اولاً ان الحرائقات لها نفع في جذب بعض مواد مثل الريح . واذا كان
المريض في اول المرض في بُجران، توضع الحرائقة على الرقبة من الورا . في اثناء
مرض البُجران وعلى الصدر . ولها نفع اذا كان ثم نزلات على العينين .
وترتيبها الى حد الست ساعات فيصدر منها حمودة فقط ، والى حد اثني عشرة
ساعة تسحب عملاً مثل الماء . (صديداً وقيحاً) . ومن كان حاصله له ريح في
الورك يجب ان تبقى الحرائقة ٢٤ ساعة ، وبعد ان تُرفع يوضع موضعها ورق
العنب أم دينة الجدي (عشب كُستى بهذا الاسم) ثم سمن زبدة بدون ملح .
واذا صار وجع زائد في الجرح والحمودة يوضع صفار بيض يُجبل بأربعة دراهم
زيت حلو ويدهن بهذا يختم الجرح . واذا لم تحصل افادة ، يعمل هذا
الدهون وهو :

ماء أوقية ، خل مرسكي درهم ١ ، عرق درهم ٢ ، ويخلط . ويوجد
شيء اقل من الماء وهو قشر السديان ، يغلى موضع الماء ويلطخ فاتراً .

•

وللحرائقات نفع لمن يحدث له نزول على العصب والمبرولة ، توضع على صلب
الظهر . ويجوز ان توضع اثناء الحميات ليلة الاسابيع فيعرق اذ ذاك المريض
ويشي بوله . اما النساء الجالې فلا يجوز لهن وصف الحرائقات ، وبالاكثر لمن
كانت لهن عادة ان يروحن (يستطن) ، ولكن توضع لهن موضع الحرائقات
خبرة الخردل - وهذه صفتها :-

بزر خردل مدقوق وخميرة عجينة قدر بعضهما . خل حادق (ثقيف) بقدر
اللزوم وتدهن به خرقة وتوضع على الرجلين ، كما ذكرنا من الماء الى الصباح .
اما الاجزاء التي تحدث الحمودة من دون الحرائقات فهي : روح الدبان
الهندي . ملح انديسون . بزر خردل وغيره . فروح الدبان الهندي ينفع في
النزلات الحفيفة التي هي من قبل ريح ، يخرج بستة دراهم زيت ، ودرهم ١

كافور مطباني ، ودرهم ٢ روح الشادر ، ودرهم ٢ روح الدبان الهندي .
ويُنفع أيضاً لوجع الصدر . واذا كان موضع الزيت دهن لوز حلو او مُر
يُدهن بهذا الدهن الصدر ثم يُوضع فوقه لبادة صوف .
وان دهن بزر الخردل له نفع في الحنفيات . يوضع على مشط الرجل
فيسحب الحنّى . ويُدهن به للتزولات التي على العصب . وترتيب الدهن :
صابون أوقية ١٠ . دهن غار درهم ١٠ . بزر خردل مدقوق درهم ١٠ ، تُخرج
جميعها وتوضع على موضع التآكل .

نسخة شربة نظيفة من مجربات عيسى انندي حاكم باشي السلطان احمد

وهي لا تُبقي بعدها علة ، وتزيل القبض ، وتصفّي البدن ، واسهلها
لطيف ، وتزيل الجرب والحكة وتشفيها ، وكذلك الدامل والجراحات الناجمة
عن غليان الدم والبلغم والسوداء والصفراء ، وتحلّ القيح والريح والقولنج
والبثرات والقروح الخارجة والحنفيات الدموية وغيرها وتشفيها ، ووجع المفاصل
وضرباتها ، وتسوّي الدم العفن المحترق الذي يضيّق منه خلق الانسان وتضمر
نفسه وهو مركّب فوق القلب فينزل مثل القطران . وهذه اجزاء الشربة المذكورة :
خربق اسود درهم ٣ . تربل ابيض مجوف درهم ٥ . راوند درهم ٤ .
سنامكي درهم ١٣ . محمودي درهم ٣ ونصف . يُدق كلٌّ بفردة وتبسيبها
(تربيباً ، تضريباً) بدهن اللوز الحلو وتدهنها يوماً زليلة . وبعد تُعجن هذه
الاجزاء بثلاثة امثالها عسل نحليّ متزوع الرغبة مقوم ، ويعطى منها ثلاثة دراهم
او سبعة دراهم ، وكلما قدمت زادت حسناً وأبرأت من نفخة الجوف ومن
سخونة البرد والحنّى التي طالت مدة سنتين . هذه هي بعض اوصاف هذه
الشربة فانها تُبرئ من الامراض . ولكن تُعطى منها الشربة في زمان الربيع
والحريف وقت السحر ، وفي زمان الصيف نصف الليل ، وفي زمان الشتاء
وقت الظهر . توكلتُ على الله .



وصفات مشوعة

وصفة نافعة لبرودة المدة ونليتها وتغريتها ومساعدتها على الحضم

كبابه صيني أي دارصيني ، يؤخذ منها الربع ومن السكر ثلاثة ارباع .
نافعة كما ذكرنا .

١ - وصفة نافعة للريح

خولنجان عقاري درهم ٣

٢ - وصفة للاستسقاء والورم بحربة

تفحم حشيشة القسطنطين كغرم الثمن (الدخان) وتغلى بالزيت الحلو (الزيتون)
في وعاء من فخار وتوضع في مرطبان فخار مسدود الفم ٢٤ ساعة (في الشمس) .
يدمن بها الورم فتشفيه بدون الله ولو كان ورم استسقاء . مجرب .
٣ - فائدة للطرش

تؤخذ مرارة خلد وتخلط بالزبيب ويُقطر منها للأصم يبدأ .

٤ - ايضاً للطرش

مرارة خلد ودهن زنبق او دهن غنم . أمزجها جيداً واقطر في الأذن .
ان هذا الدواء عجيب النفع وليس من دواء أفعل منه ولا أصح .
٥ - ايضاً للطرش

دق ورق الحنظل الاخضر واعمس زومبه واقطر منه في أذن الأصم
يسع حالاً .

٦ - ايضاً للطرش

خذ حنظلة وقورها وضع فيها زيتاً وضعها في النار حتى تحترق ثم ارفعها
واقطر في الأذن من هذا الزيت السخن ، على قدر ما تطيق احتماله . قيل
انه مجرب .

٧ - قطرة ايضاً للطرش

خذ كبابه (كبكابة الشوك) وضعها فوق غربال وضع تحته وعاء
وغطها فتبول في الوعاء ، فخذ من يولها هذا واقطر منه في أذن الاصم فتفتح
حالاً . مجرب .

٨ - وصفة لوجع الاذن

خذ بصلة كبيرة وقورها واملاها زيتاً وضعها في رماد سخن ثم اقطر من هذا الزيت في الاذن . وان غليت بهذا الزيت ثوماً وقطرت منه للاصم يبرأ . مجرب .

٩ - وصفة معجون الكاناليكون^{١)}

نافع للسعال والصدر والطحال

كبريا خضرا درهم ٤ ، تغلى في ط (وطل ، اي ٣٢ درهم) ماء حتى يبقى ط . يوضع فوقها سكر ابيض ط مصفى بزالال بيض ، وتغلى حتى تتقوّم مثل الأشرطة . هذا نافع لعلة السعال والصدر والطحال .

١٠ - وصفة معجون كاناليكون غيره

لب خيار شبر ق . قمر هندي ق . ملح طرطير ق . ورق سنمكي منقى ق . جلبا ق (نصف أوقية) . راوند جيد درهم ٢ . انيسون ذو اللون الاخضر درهم ٢ . قرنفل درهم ٣ . قرفة درهم ٣ . عسل جيد ق . اصنع الحيار شبر والتمر الهندي شراباً واخلط ببقية الاجزاء بعضها ببعض خلطاً جيداً واعط منه مقدار عشرة دراهم او ٩ او ١٢ ذرهماً .

١١ - غيره

عسل الحيار شبر ق . قمر هندي ق . ملح طرطير ق . جلبا ق (نصف أوقية) . راوند درهم ٢ . عسل متروك الرغوة ق (أوقية ونصف) . خيار شبر لب درهم ١٥ ، يوضع عليه ماء حار قدر ق ويصفى . ثم يؤخذ زهر بنفسج نحو ٧ دراهم يغلى ويضاف فوق ماء الحيار شبر ويغلى جملة حتى يبقى نحو أوقية تصد منه ويؤخذ مرّة او اكثر بمقتضى اللزوم .

١٢ - لصقة للقالج

نخاله وشره ودبس وزيت وخردل . تُخرج وتوضع بعد ذلك . فالريانا درهم ١٢ توضع في أربعة فناجين ماء نحو ساعة ويشرب فنجانين بكرة وفنجانين عشية .

(١) قد مر ذكر هذا المعجون في هذه « الرسالة الشفبة لالامراض المشككة » .

١٣ - مرهم ليريق النساء

زيت وورق الماذريون يُدقُّ ناعماً ويوضع أو يُفرك به .

١٤ - لداء المفاصل

بعد التشطيب استعمال ماء المشبة القطرانية والدهن بزيت عتيق .

١٥ - علاج لوجع الاذن البارد والحر

عصارة قثا الحمار ، يُقطر منها في الاذن نافعة لوجعها البارد . وكذلك دهن

الخروع وعصارة السداب (الفيجم) ودهن الورد .

إذا طُبِخ نسيج العنكبوت في دهن ورد وقطر منه في الاذن سَكَن وجعها الحار .

دهن الاوز ينفع لوجع الاذن البارد . وكذلك دهن الفار نافع له ايضاً .

١٦ - علاج لياض العين

الكحل باللازؤ . والكحل بالبورق . والكحل بالمرجان يجلو آثار القروح .

تشر بيض الدجاج ساعة بيضاء ، إذا سُحِق ناعماً ونُقِخ في العين يُزِيل الياض .

ورق العوسج يُدقُّ ويُقطر من عصيره في العين سبعة أيام متوالية يُزِيل

الياض القديم من العين .

كحل العتيق نافع ايضاً .

السندروس إذا حُكَّ على المَسَن بَدَى التَّصَب وكحل به البياض أبرأه .

١٧ - علاج الزرقاة في العين

وهي جمود الرطوبة الجلدية وانقادها (وتعتقدها) ويحدث عنه عَماء .

يُخلط الزعفران بِناء . ويُكحل به .

عصارة شقائق النعمان أُسْوَد حَذَقَة العين وتنفع من الزرقاة .

عصارة الحنظل الرطب إذا قُطِر منها في العين الزرقاة . سَوَّتها .

١٨ - صفة مرهم يذهب اللحم الفاسد ويبتئ اللحم الصالح

مرتلك يُدقُّ ناعماً ويُضاف اليه الصبر ويُعجنانَ بَسَن بقرِّي وخل ويُستعمل .

١٩ - صفة سجون لقطع السوداء .

صبر . وحَب الرشاد . وحَب سودا . وفلفل . وزنجبيل . واهليلج أسود .

أجزاء متساوية . يُدقُّ الجميع ويُعجن بمِل الرغوة ، ويُستعمل على الريق .

٢٠ - صفة - دوف يقطع البام وبفوي المدة ويطرد الريح والرطوبات

فلفل وزنجبيل سواء . يضاف اليها سكر أبيض بعد دقهِ ويُستعمل ثلاثة دراهم منه على الريق ، وثلاثة دراهم عند النوم (مغرب) .

٢١ - للشهوة الكلية

وهي ان يأكل صاحبها فوق الشبع وهو يشتهي الطعام فيستحيل ويهضم قبل عاداته فيجوع . وسببه زيادة خلط الصفراء . المختن في المعدة .
علاجهُ : شرب عصير الليمون بالسكر ، والغدا . خبز الحنطة مع الجلاب ، وأكل ما كان بارداً رطباً وترك ما سواه .

٢٢ - في الاستسقاء

الاستسقاء حيوان يورم جميع الجسد ويكظم البطن . وهو أقسام . الاول رطب وهو عن بلفم في الصدر أو في الرئة .
علاجهُ : حلبه تُغلى على النار اربع او خمس مرات ، كل مرة ياء جديد ، وتُصفى ثم تُسحق ويحمل عليها دقيق الحنطة وتُعمل جيناً باللبن البقري والسن أو السكر . غداء وعشاء .

الأول لحمي : وهو اذا جعلت اصبعك عليه (على الورم) انخفض ولا يرتفع الجلد إلا بعد ساعة . وهو أهون أنواع الاستسقاء . وقد يكون الاستسقاء عن حرارة .
الثاني وهو الطبلي ، اذا ضربت بيدك عليه خرج له صوت كالطبل . وهو أمر من الاول .

الثالث الرقي : وهو ورم عظيم كالزق المنفوخ مع رقد الجلد وظهور عروق خضر . واذا تحرك صاحبه او تقلب تخضعض بطنه كالتربة التي فيها اللبن ، وهو أردأها . وسبب الجميع خلط بلفمي دوي .

علاجهُ : تُنقع الكزبرة في الحل يوماً وليلة ويشرب على الريق ويطلي بها ، والغدا . المزورات (لعلها المزورات) على ثلاثة ايام ، ثم يشرب مسهل البلفم ويستعمل الثوم والعل على الريق .

٢٣ - صفة شربة تربل المغن والجرب والدمامل والأخلاط الأربعة

من مجربات عيسى أفندي حكيم باشي السلطان احمد

خربق أسود درهم ٣ . تربل ابيض مجوف درهم ٥ . راوند درهم ١٠ .

سنامكي درهم ١٣ . محوذي ٣ دراهم ونصف . يُدقُّ كلُّ منها بفردة وتُكبس جميعاً بدهن اللوز الحلو وتُدعك يوماً وليلة . وبمده تُعجن بثلاثة أمثالها من عسل النحل المذوق الرغوة . ويُؤخذ منها ثلاثة أو سبعة دراهم .

٢٤ - صفة مرم لتفتيح الدمامل

يؤخذ حبُّ كَثَّان وصايون وقصب وحليب بنت ، اجزاء سوا . . تُدقُّ وتوضع لصقة .

٢٥ - صفة مرم لتفتيح الفروج

مرسك وسبيداج وصايون وزيت ، يُغلى على نارٍ لينة .

٢٦ - لبرودة المعدة

قرقة درهم ١٠ . قرنفل درهم ١٠ . كَثُون درهم ١٠ . يرش شره درهم ١٠ . حبُّ الحصابان درهم ١٠ . كوكلان نصف أوقية . جوزة الطيب ١٠ دراهم . عسل أوقية . يُدقُّ كلُّ جزء بفردة . وتُجبل جميعاً بالعسل جبلاً جيداً محكاً . يُؤخذ من هذا المعجون مقدار لوزة في الصباح ومثلها في المساء .

٢٧ - صفة لصقة للسدة

مصطكي درهم ٥ . زلال بيض وشة درهم ٢ ، وطين ارمني درهم ٢ . تُخفّق جميعها ببعضها وتوضع .

٢٨ - صفة لصقة أيضاً للسدة

قرتينا درهم ١٠ ، مرَّ حجازي درهم ٣ ، صبرا شقرا درهم ٣ ، افنتين مسحوق ناعماً درهم ١٠ . تخرج هذه الاجزاء . وتُسحق على النار وتوضع لصقة على المعدة .

٢٩ - تركيب حبوب لقطع الدم

راوند درهم $\frac{7}{8}$. طارطير درهم $\frac{2}{3}$. يانسون مسحوق درهم $\frac{1}{2}$. تُجبل هذه الاصناف بخمر جيد وتُعسل حبوباً ، الحبة تكون بقدر الحصة . يؤخذ منها صباحاً ، حبة عدد ٧ أو ١٠ .

٣٠ - وصفة كحل للعين

برادة ذهب درهم ٢ ، ازلو درهم ١ ، صبر اسقطري درهم ١ ، سكر

ابيض درهم ١ ، مك درهم ١ ، كافور درهم ١ . وخذ من الأعد مقدار
جميع هذه الاجزاء ، واسحق الجميع ناعماً ورفق الى الاناء الزجاجي ،
ويكتمل به .

٣١ - لذهاب الشر

اعجن الآفيون والبنج بالحل وادهن .

٣٢ - علاج للشر أيضاً

انقع بزر قطونا بالزيت او السليط يوماً وليلة ثم يُعصر اللعاب على طيب
كاللينة يوماً وليلة ثم يوضع على موضع الشر .

٣٣ - فائدة اولى للحنطة الكرم

من طوق شجرة كرم بطوق من رصاص أسود لا يسقط من حملها شي .

٣٤ - فائدة ثانية للحنطة

إذا خلطت الحنطة بوماد شجرة الطرقا بقيت سنين كثيرة بدون تسوس .

تنبيه : ان القارباناء هي لسدد العروق . واللودسم . او زيت الخروع للعقص .

٣٥ - فائدة في الموازين

كل ستة عشر حبة خردل هي ثقل حبة خرنوب . وكل ستة عشر حبة
خرنوب درهم . والمثقال درهم ونصف . والداع ثمانية ارطال . والرطل ٣٨
درهماً . والدرهم ١٤ قيراطاً . وكل قيراط خمس شعيرات . والكيلة ١٤
رطلاً . والدائق سُدس درهم وهو وزن ثمان شعيرات .

فصل

في ذكر بعض الاغذاء

التين - اذا أكل على الريق فتح مجاري التدد ونفع قَصَبَة الرئة ، إلا انه
يحدث انتفاخاً في البطن .

العنب - ان العنب البابت بعد قطعه بيوم هو أجود من المقطوف بيومه .
الزبيب - هو صديق المعدة والكبد ، ويهدئ الذهن ؛ وينفع من كانت
معه أخلاطٌ بلفسية ، إلا انه يحرق الدم الصالح .

الحوخ - أجودُهُ هو المكِّي الزهري . ان الناضج منه ينفع المعدة .
 الاجاص - خلطة غليظ .
 الكثرى - إنه يقوّي المعدة الضعيفة ، لكنه يُحدث القولنج اذا أكل
 قبل الطعام .
 الرمان الحلو - يلين الصدر ويصلح للسعال والباه ، لكنه يحدث ريحاً .
 يُدفع ضررُهُ بالرمان الحامض .
 الجوز - يقيد اوجاع الصدر ، والقصة ، والسعال المزمن ، وسوء الهضم ،
 وأورام العصب والتدي لا سيما اذا شوي وأكل حاراً .
 الفستق - ينفع المعدة ويقوّي سدّد الكبد وينقيها ، وينقي الكليتين
 والمثانة .

منافع قشر الجوز الاخضر

اذا عُصر وغُلي حتى يغليظ كان ترياق البثور ، وداء الثعلب والاورام
 طلاءً بالصل .
 انه يحتر الوجه والشفتين طلاءً .
 وجزء منه مع مثله من اوراق الحناء ، اذا طُلي به قطع التزلات والصرع
 وكلّ وجع بارد كالقالج والنقرس .
 ورواده ينفع من الالامعة والجرب كحللاً .
 واذا طُبخ رطباً بالخلّ ونخب الحديد ، أو نُقع اسبرغاً ، سود الشعر
 وحسنه وقواه .
 وقشره الصلب اذا أحرق واسنك به ، يبيض الاسنان وشد اللحم
 المترخي .
 وقشر أصله اذا طُبخ بالزيت حتى يهتري ، كان طلاءً جيّداً للبواسير
 وأمراض المقعدة .
 واذا اسنك به نقي الدماغ وأذهب النسيان .
 واذا طُلي به حسن اللون .

الفقرة المناحرزة عن الأطباء والرصاصا التي يُستمان بها
على حسن المداواة وجودة تدبير المرض^(١)

قالوا : إنَّ حفظ القوةَ أخرى وأولى من مداواة المرض اذا كانت مداواة
المرض تُشيدُ ضعفاً في القوة ، اذا كانت القوةُ هي المُزينة للأمراض . وللقوة مع
المرض احوال ثلاث :

إما ان تكون أقوى من المرض فتقهره ولا تحتاج الى معونة الطبيب كما
نرى جماعة من المرضى قد برئوا من الأمراض بلا دواء ولا طبيب .
وإما ان تكون ضعيفةً فيخشى على صاحبها من العطب ، فتكون الحاجة
في هذه الحال ماسةً الى معونة الطبيب .

وإما ان تكون معادلةً مساويةً للمرض فيتفق من ظهور المرض عليها
ويحتاج الى معونة الطبيب لحراستها لتبقى على ما هي عليه . واعتبار حال القوة
يُعرف من النبض والعينين كما نبّه عليه بقراط .

وقد مثلوا القوةَ ايضاً برأس المال ، والبرء بالربح ، والطبيب بالتاجر . فينبغي
للطبيب ان يكون كالتاجر الكفئ اذا رأى وجهاً للربح باع وإلا احتفظ
برأس المال .

وقد سُيِّمت القوةُ ايضاً بزراد المسافر . والمرضى بقدر القوةِ فيه . ومنتهى
المرض بالموضع المقصود اليه . فينبغي للعاقل ان يعدّ من الزاد في سفره على
قَدَرِ بُعْدِ مسافته الى حين وصوله الى موضع قصده ، لأنّه ان عَدِمَ الزاد قبل
وصوله هلك ، وان كفاه سَلِمَ . كذلك القوةُ ان ثَبَتَ الى منتهى المرض سَلِمَ
المريض ، وان ضعفت قبل منتهى المرض خيف عليه ، فان ذلك صار حفظ القوةِ
بما صُرِفَت العناية اليه ووقع الانهطاف عليه . واذا أمكن تدبير المريض بالغذاء
فلا يُدبِّرَنَّ بالدواء . ولأنَّ أمكن بدواء خفيف ضعيف فلا يُتعمدُ الى دواء
أقوى . وان تبيّن مداواته بالأدواء المفرد فلا يُعطى الدواء المركّب .



(١) اخذنا هذه الفقرة عن كتاب « الاقتضاب » هذا وهي خاتمة فصوله ويأتي بعدها
تفسير اسما بعض اعشاب وأدوية طبيّة عربيّة . وقد أضفنا اليها ما وقفنا عليه منها في غير
هذا الكتاب .

ولا ينبغي استعمال الأدوية الغريبة المجهولة قبل تجربتها . ولا تعتمد على دواء جرّبة النسا ، والجهاز ، فربما وافق طبعاً وناقراً آخر . وينبغي الحذر من اعطاء الأدوية القويّة الإسهال والتنقية إلا عند الضرورة وبعد ما يقابلها ان فُرِضَتْ اذا اتفق ان وُجد مرضان متضادان في بدنٍ يقتضي لكل واحدٍ منها تدبيرٌ مضادٌ للآخر . فينبغي ان تقصد علاج أخطرهما من غير اهمال الآخر . وهكذا ان اتفق وجود عَرَضٍ يضاد تدبير المرض وكان العَرَضُ يُخْشَى مِنْهُ حلُّ القوّة ، فيَقْصِدْ أولاً علاج العَرَضِ فاذا زال رُجِعْ الى مداواة المرض كما يُفعل في التولنج باعطاء الدواء المخدّر عند شدّة الوجع ، فانه يزيد في المرض لكنه ينفع به في تسكين الوجع المضاف للقوّة .

ومتى اشتفى المريض شيئاً شهوةً شديدةً فلا يُمنَعُ مِنْهُ اصلاً بل ينال منه اليسير ويُخْشَى مِنْ تناول الكثير . فان القليل اذا كان رديئاً غير مضرٍّ ويُعَدَّلُ مع هذا ما ينال منه اذا احتاج الى تعديل . فان المريض اذا لم يُرَخَّصْ لَهُ في أخذ اليسير مع شهوته فربما دعت شهوته ، لا سيما اذا كان شرهاً او جاهلاً ، الى تناول الكثير مع مضرته .

ومتى اتفق دواءان احدهما تملُّ اليه الشهوة والآخر تنفرُ مِنْهُ ، وكان الذي تنفرُ مِنْهُ أنفع ، فينبغي ان يُداوَى بالشهوى ، لأنه لولا ان هناك نوعاً من مناسبة لما اشتهى . وبالعكس اذا احتيج الى استفراغ خلطٍ من الأخلاط في مَنْ لا يُخْشَى تناول الأدوية الكريهة كالملوك مثلاً ، فينبغي عند الحاجة الى استفراغ الخلط الصفراوي ان يُسَهَّلَ بِشَرَابِ الورد المكرّر بالثلج ، أو بالمحودة ، أو بالجلاب ، أو بناء الاجاص .

وعند الحاجة الى استفراغ خلطٍ غليظٍ يُستخرج بالتبريد الحديث والغاريقون في لحد الأشياء المذكورة .

وعند الحاجة الى استفراغ الدم فليس من دواء غير القصد . وفي القصد فيما لا يُدَّ مِنْهُ من علاج بالحديد ، فليس من ثم غير الرفق وترقيق الآلة وتجديدها وتجويدها ومنح المبيض بالدهن . وقبل القصد ، في الشتاء بالماء الحار فيكون الماء اقل سخونة وينبغي سؤال المريض والبحث عن احواله وملاحظته ، فربما اتفق ألا يمكنه ان يعبر عما يعتريه من الأعراض والآلام متى كان المرض

غامضاً او مُشْتَبَهاً به ولا يمكن الوقوف عليه بالحدوث ولا بطريقة من طرائق المعرفة ، فينبغي ان لا يشتغل الطبيب بملاجح ولا بتعديل مزاج . ولا توريع خلط بل يحفظ القوة بالغذاء المعتدل ، فاذا كان المريض لا يشتبه فلا ترجع القوة ان كانت ضعيفة . فان كانت القوة ضعيفة فيُعْذَى المريض بغذاء وان كان لا يشتبه ، ويداوم على ذلك الى ان تتقرر حقيقة المرض .

ولذلك ينبغي على الطبيب ان يجتهد في تدبيره ، فلا يُدِيرُ بما لا يأمن مضرته . ومتى اشتبه بسبب مرض ولم يتضح حاله فيمتحن ذلك بان يفسخ العضو أو يبدله أو يُحَقِّقُهُ أو يوطئه بغير افراط ، أو غير ذلك مما يوضح أمره . ولا يكون خطر في تدبيره هذا . ويمكن تدارك ما عساه ان يُحدثه من ضرر .

وهذه هي آخر المسائل الطبية المشتملة على جميع علم الطب ، رويتها قعداً ان تكون مدخلاً للبتي وتذكراً للمتهي ، وفي ذلك كفاية .

تفسير اسماء بعض اعشاب وأدوية طبية غريبة^(١)

أسد الأرض : هو المازريون وعود الحقل . أورسيا : السوسن الأبيض .
ايرسا : أصل السوسن الاسنجوني . اسقيوس : بزر قطونا . أماريقون :
الاقحوان الأبيض . اماريطون : الاقحوان الأصفر . القيسوم : البرنجاسف
ويُعرف بسك الجن ، والافستين نوع منه . الهيفان : الجرجير . اقليما :
خبث كل جسد ذائب . آذان الفار : المردكوش . اصفر : القبار . اشتراذ :
شرك الجمل . الزرشك : البربريس . اطريلال : ونجل القراب . أسرب :
الرحاص الأسود . اغاريقا : الغاريقون . الراتينج : علك الصنوبر (الصغ) .
الحشيشة الرومية : الاستولوقندريون . الحشيشة الفارسية : البنج . أومانا :
عصارة قتا الحمار . أدريو : اصل القطن . اذئاب الحبل : حلية التيس . بهرمان :
العصفر . شمر القول : كبرية البير . يوزيدان : خصى الثعلب .

يودنج : الحشخاش الأحمر . بقلة الانصار : الكرنب . تاهوت : الشبرم .
تودي : نوع من الرشاد . تفاح الجن : اللقاح . الترب : الفجل . كرمازج :

(١) كثيراً ما تردد هذه الاسماء في كتب الطب العربية المطبوعة فيجول المطالع فيها ،
لذلك اثبتنا هذا الفصل تسهيلاً لمرقة بعضها ، وقد أضفنا اليه ما جمناه منها .

الكرومازك (الطرفا). ٢٠. توم الحية : التوم البري . ثلاثة اخوة : يراد بهذا
 اللغز الغنفل الأبيض . الحمة اخوة : الهليلجان الكابلي الاصفر والاسود
 والبلياح والاماج . سطوريون : النفل ويسمى بالفرنجي طريفيليا (حندقوق) .
 ثمرة فارسية : الخوخ . جوز مائل : نوع من السورنجان . جوز جنم : تراب
 السمل وهو حب كالحص ينبت بين الصخور ويسمى ايضا خرو الحام .
 جلنجين : الورد المربى بالسل . حيف الماء : المردكوش . الحشيشة الدورية :
 كف النسر . حسك : حمص الجبل . الشونيز : الحبة السوداء . الحاشا : هو جنس من
 الصعر . المحم : وهو بالفارسي كاردكان ، اي لسان الثور . الحصى ، منه
 مكأوي ومنه هندي : كحل يقال له الحولان . الحلاف : الصفصاف . حجر
 الطلق : كوكب الارض وهو حصاء البر . الحاما : قيل تفاح الجن . خروب
 هندي : خيار شبر . خمالي : البايونج . خيتوم : حب القطن . بردانا : ويقال
 له بلنجان . القواقري : القطرب الكبير . غوتاغينا : رب الراوند . استقيرزا :
 الفيقوع . الشونيز : حبة البركة . الأسقل : بصل الفار . أنفجة : مجينة .
 أشنه : الشينه . اسطرخردي : الشمنيز . أنجرة : القريص . الاجاص : جنس
 خوخ شترغاد : شوك الجمال . فقاح السورنجان : زهره . بلبوس : بصل الزير .
 يوصير : آذان الدب . جار : عين البقر . برشاوشان : كزبرة البر .
 بازروج : حبق حوك . فيليسون : فرفجين بري . بقلة الحقا : فرفجين بري .
 بنجيجت : البوشريح . بسانج : أضرار الكلب . بيش : الشركوان .
 بساسه : تجوزة الطيب . باقلي : الفول . بطباط : عصا الراعي . دارصيني : القرفة .
 دهمت : شجرة الفار . الجرجير : قرّة الماء . الحرف : الرشاد . هزارطين :
 الشرفان . هوفيلوس : خس الجمار . حسك : أضرار العجوز . طين الكرم :
 الحمار (نوع من التراب الأحمر) . الكندر : البخور . الكبير : القبار .
 الكثرى : النجاص . اللخنه : الملفوف . لسان الحمل : آذان الجدي . السليقه :
 ذنب القارة . الميختج : الدبس . الملوخيا : الحيزه . السرخس : الحنثار .
 سورنجان : الحرصه . الفودنج : الزوباع . القيسوس : المشقة . الرازيانج :
 الشومر . يساس . فانيا : عود الصليب . بنات وردان : جيز يسمى الدحيريحي .
 الراينج : القلفونه . الراسن : جناح النسر . الاينون : وريقة يام . الشيطرج :

هي الحامش الشامى ، والحامش هي العصيب . المعرب : بدلة الفود . حماما : اكسونا . حاك : ضرس العجوز . المبلاب : البقلة الباردة . الدباب الفيجم . البرينا : حشيشة المقرية . القيروم : الميثان . الفودنج : نمنع الماء . نليخه : قشور شجرة القطران .

الورس : الكروم . دار شيشمان : القندول . مشطرا مشيع : الزوبع ، بدلة بايونج . الراسن : الرنجيل . أدريون : دوار الشس . الجباحب : سراج القعالة . العاقول : شوك الجمل . كاكنج : غب الثعلب . شقرديون : قوم بري . الشيار : البقس . الشنج : الجزون . الشهدانج : شجر القنب . شرة البيضا : البازورد . عاقر قرحا : الطرخون . الميوزج : زبيب الجبل . ذربا : عروق الكافور . اتمش : العنب الحالى من الثوى . كبادريس : بأوط الارض . كافيطوس : صنوبر الارض ، وهو كحي العالم . الحزنبل : كف الذر . براد شيشاتو : الرقيق .

=

الدمش : النار . عاقر قرحا : عود القرح . ماطوريون : خصى الثعلب . فانيد : سكر نبات : تافيا : بزر الدباب (الفيجم) . اكليل الملك : قرينات الحية . الاقسطوس : اليسان . المرسين : الآس (الرمان) . سالوبا : قصين . اطرانون : قتا الحمار . كاذزان : لسان الثور . السيلاليوس : الكرفس . الارجنينا : حشيشة الفضة . الاغرمونيا : النافث . ابراطوريا : حب الملك . اكواتريا : ماء الترياق . السيلالوس : الكرفس . الترنجيين : المن القرنجي . الشجم : الملقث . الجادروس : الذره . الدار شيشمان : القندول . البادروج : اخيق . حب العروس : عيون السلاطين . استبقار : حب الخروع . دياقانيليون : دهن ثرنبق . الروغ : مخيض اللبن . العصلج : شلخ الخلاوي . الحلوب : حب الدجاج . قسطرون البوطونيكا : بزر القنب . تراحقوق : نوع من الهندباء . سليخا : شلخ الريباس . الرند : ورق النار . الدبابرس : الاجاص . البستان : المقيس . البسد : المرجان . بازورد . حبة المباركة . الجرشف : العكوب ، أو الارضي شركي . افراجيا : حاشا الزوفا . حاوز : حب الصنوبر . الحلويا : الكزبرة . الفرومانيا : الكراويا . قتا هندي : خيار شبر . ديا كديون : سقمونيا . اسوس : زبد البحر . الرازيانج : الشومار . سن الفيل : الناج . ملح الطرطير : دردي الحن . الأترج : الكباد .

كتاب « تاريخ الازمنة » للدويبي

وثبت النساخ في القرن الـ ١٦

بفلم الموراسف غيايل الرجي
حافظ المكتبة والخرانة البطريكية

طالما عطف عشاق الاداب اللبنانية الى ظهور مؤلفات العلامة البطريك اسطفان الدويبي (١٦٧٠ - ١٧٠٤) ، ولا سيما كتابه « تاريخ الازمنة » .

فشر اقساماً منه ، مضافة الى سواها من كتبه ، المعلم رشيد الشرتوني ، فلم ترو غليل العلماء المدققين ، لما اعتور النص من حذف وبضعر ، او تصليح وتحوير . وقد تكون ظروف زمانه هي التي لم تؤاتيه عملاً اكل (تاريخ الطائفة المارونية . المطبعة الكاثوليكية - بيروت . سنة ١٨٩٠) .

وقد انجبرى حضرة الاب توتل اليسوعي لابراز « تاريخ الازمنة » بطريقة علمية ، مستعيناً بنسخه المعروفة لديه ، وعددها ١٢ ، فادى للعلم والتاريخ خدمة يشكر عليها (تاريخ الازمنة ١٠٩٥م - ١٦٩٩م ، نشره على اصوله للمرة الاولى .. الاب فردينان توتل اليسوعي ، المشرق السنة ١٩٥٠ : ٤٤) .

ولكن يغز علينا الا يكون الكتاب المنشور ، وقد تم طبعه على احسن وجه ، يضاهي نشره نضاً جماله طبعاً . ولنا الان في معرض تقديمه بالتفصيل . وانما تقتصر على الاشارة الى ان فيه عدة اغلاط طبع او نقل كان المفروض اصلاحها ، وارقاماً في الجداول لا تتفق مع الاصل ، وخصوصاً قرأت كثيرة مغلوطة وهي المأخوذة عن النسخ المخطوطة بالحرف السرياني اي بالكركشونية ، وخاصة عن المسردة . وقد اتخذ حضرته اسماً لطبعته نسخة بالكركشونية كما ذكر في التوطئة بدون ان يخفي صعوبة الامر ، حيث قال : « ولم نسر بالعمل الا سيراً بطيئاً لصعوبة قراءة الكتاب بالحظ الكركشوني المشوه بنخر الدود » (التوطئة ص ج) .

فما كان احراء بالمدول، والحالة هذه، عن النسخة الكرشنوية الى سواها عربية، وبكل حال عن هذه النسخة المنخورة المكتوبة سنة ١٧٩٧، ولديه من النسخ ما هي اقدم منها واقرب الى عهد المؤلف وخصوصاً الى شخصه، «خطها حسن سهل القراءة» كما قال في النسختين الواييكانييتين رقم ٣٩٤ و ٦٨٣ (التوطئة ص ٥). وعلى الاولى هذه الكتابة بالكرشنوية: «هذا الكتاب باسم الحوري ميخايل الدويهي وهو من مصنفات المرحوم البطريرك اسطفان» (اخر الكتاب: عن مذكراتنا). والحوري ميخايل الدويهي هو ابن شقيق البطريرك. والاخرى خطت سنة ١٧١٠ بعد وفاة الدويهي بست سنوات (التوطئة ص ٥). وعندنا ان كتاب «تاريخ الازمنة» لا يصح نشره الا عن النسخة الواييكانية رقم ٢١٥. فهي بخط المؤلف نفسه، وقد هذب واصلح وزاد ونقص فيها. وارسلها مع كتب اخرى الى رومية، على امل ان يطبعها مجمع نشر الايمان المقدس، وهي على حالها، قبل ان يتمكن من تبييضها، وكان ذلك سنة ١٦٨٥ صعبة الحوري يعقوب عرابي، او سنة ١٦٩٥ صعبة المطران بطرس مخلوف، والاول ارجع.

والبرهان ما وجد في محفوظات المجمع المذكور من ان مقرره عرض للسادة الكرادلة سنة ١٦٩٧ «ان بطريرك انطاكية على المارانة يرجو من هذا المجمع المقدس ان يطبع بعض كتب ارسلنا اليه مع مرفديه وهي العهد الجديد والشرطونية وكتاب الطقوس وتاريخ المارانة» (خزانة المجمع، المراسلات، رقم ٦٨ ورقة ٩٩، عن نسخة مصورة من مخطوطة المرحوم الحوراسقف يرلس قراي).

ولا بد من الاستعانة، في هذا العمل، بالنسخ الاخرى ذات الاهمية، وبالاخص بالمسودة والنسختين الواييكانييتين السابق ذكرهما رقم ٣٩٤ و ٦٨٣. وعمل كهذا لا يصح ان يعهد به الى واحد فرد، بل يجب ان يتعاون على القيام به نخبة من ذوي المعرفة والاطلاع والتدقيق.

...

وبعد فما نحن ننشر ثبت الخطاطين في القرن الـ ١٦، كما جاء في المسودة بعنوان «النساخ بهذا الجيل» (ص ٢٦٢-٣). وقد نقله الاب توتل في كتابه

(١٩٢-١) ووضعه تحت عنوان « النساء بهذا الجليل » ، عوضاً عن النساخ . وقد وقع هذا الغلط لأن للحرفين العربيين ك و خ مقابلاً واحداً في الكرشونية ، هو ش . فيقرأ ك و خ بحسب المعنى والقراء . ومن مقابلة هذا الثبوت في مقالنا الحاضر وفي طبعة الاب تولد يتضح لك الفرق ، وبه حجة على كثير مما قدمناه .

...

[ص ٢٦٢] النساخ بهذا الجليل (١٦١)^{١)}

1500 اهدن : مطران يحننا من بيت عبيد . الحليس جبرائيل . واخوه القس
1537 مالك وابن اخيه شماس جرجس بن اسطفان . وابنه القس يونان من بيت
سئته . (الاصل قبل التنقيح : جبرائيل : والقس مالك والقس جرجس بن
اسطفان واولاده (ثم اصلحت : واولاد عمه القس جرجس والقس يونان) .
قس وجهه بن مارون . قس جرجس بن صيما من بيت معوض (الاصل
المتقح : قس جرجس بن صيما صيما) .

خوري يوسف راهب بقرحيا . خوري انطانيوس الصهيوني .

1552 اجيع : الخوري ايوب . وقس مرسى بن قس سليمان .

1558.1547 ادنيت : شماس جبقوق . وشماس جرجس .

1506 ايليج : خوري يونان . خوري برصوما وابنه خوري حنا . وخوري جرجس
وابنه خوري ايغناطيوس . كان يعرف كل بلاد البترون .

1507 ايطو : مخايل بن جرجس بن خوري موسى بقرحيا المكثي بابن الصفدي .
الايوار (البوار) : شدياق حنا .

1500 بان : خوري ابراهيم . وابنه قس يحننا . وابنه قس سرقيس . وخوري
يوسف . وخوري باخوس . من بيت صياغا (صياغا) . الملقين باولاد
خريطه . نساخ ومصورين .

بشري : خوري موسى بن شوشان . خوري يوسف بن المطران .

(١) ما زيد على الهامش او بين السطور بخط المؤلف لا يبطل ان يكون من الاصل .
ولهذا اوردناه مع المتن املاً واحداً . ولم نثر الا الى الاصلاحات المجراة على الاصل .
ثم ان كلمتي شماس وشدياق وردتا في الاصل مقتضبتي : ثم وشد فكناهما كامليتين .

- 1520 بجه : خوري موسى الراهب في الاقضية . وقبل ان كان يعقوبي .
بقوفا : البطرك ميخايل . واخوه سر كيس . وابن اخوه (الاصل المتبع :
واخوه يوسف .
بيطوميني : اسقف مرقس ، والقس بركه الراهب . 1495
1546 جاج : الاسقف يوسف .
بشعله : حبس الجوري سر كيس من بيت حبقوق .
1521 غطريا : الاسقف يوسف . وابنه خوري جرجس . وابنه قس يوسف .
1567, 1527 حاقل : قس عيسى بن سالم في غنبلين . الراهب يوسف بدير
مار حوشب . يعقوب .
1514 حديث : خوري حنا بن حج حسن . والحوري هارون . وابنه خوري
يوسف . وابنه شدياق سمعان بن قس هارون من بيت كعبوش .
حوقا : القس مرقس سنة 1535
1532, 1514 حردين : جبرائيل بن بطرس بن براهيم .
1561, 1522 حدث : يوسف الجوري بن الجوري جرجس . قس داوود بن
خوري شمعون .
1515 حصرون : خوري مارون بن دبريم . خوري ايوب (اصلها : حنا) بن
يوسف سيقان (هنا جملة محو : طرابلس : شدياق الياس سيقان) .
وابنه حنا . وخوري يوحنا بن يوسف كسيري .
1520 يتونه : موسى .
[ص ٢٦٣] كور : قس يحننا بن متى بن سليمان بقزحيا .
1535 كورماجيتي : خوري موسى الراهب بن شدياق دانيال .
1557 كلييني : جرجس بن سليمان .
1554 خيزفانه : شمس شانس .
1564 دير مار يوحنا كوزبندي : الراهب يوسف .
كفور : قس موسى بن داوود .
1595 كفر كدا : الجوري يعقوب راهب دير مار انطانيوس بارض افثال .

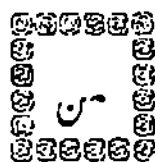
- 1507 ملحد : قس بطرس في طالا . قس موسى 1517 . راهب حنا بدير مار
اسطافان . شماس جرجس . واخوه مسعود 1516 .
- 1533 مطوشي : خوري مارون بن انطون (محجو : والاسقف مرقس) .
معد [معاد] : بطرس بن قس موسى .
- 1522 متريت : الخوري يونان .
- قرية الناروس : القس موسى ملكي 7208 mundi / 1520 .
- 1520 ساحاتو : حنا بن قس سمعان .
- ساحل علما : خوري حنا بن غندور .
- سر جييل : قس سر كيس بن ميحنا بن خوري تادروس ، وكان راهب
بقزحيا . وخوري بطرس .
- 1552, 1560 عاقورا : خوري سليمان . وابن عمه خوري حنا دحداح ابن خوري
براهيم ابن قس مخايل .
- 1544 عجلتون : شدياق سر كيس من بيت الحازن .
- 1510 فلودي : قس جبرائيل .
- 1539 قنات : خوري شمعون بن خوري سابا .
- 1526 قربصيا : خوري جرجس بن الاسقف يوسف .
- 1530 قوزحيا : خوري يعقوب الديريني . حنين القبرصي . مرقس القبرصي .
- 1554 رام : سعاده الملقب بيحنا بن خوري يوسف .
- 1550, 1563 شبطين : خوري بطرس بن شدياق براهم (الاصل المنشح « بطرس »
فقط) وخوري انتاسيوس .
- 1520 تولا الحليقة خوري سر كيس . وابنه قس جرجس .
- 1523 تحوم : خوري جرجس الراهب بن شدياق حنا بن شبارا .
- تنورين : شماس بطرس .
- توتج : خوري حنا بن الرطيمية . وابنه قس براهم . وابنه قس الياس
في قهرس .

نشيد الميلاد

للشاعر رومانس المرخم

غزبه وخلق عليه الاب نقولاس قادري قى . ب .

نوطه



جوهر الشعر ان يكون سرّاً من اسرار الفنون . ولكل شاعر
 سرّه الخاص . واذا اردنا ان نستقصي نفسية شاعر علينا ان نلج
 الى قدس اقداسه الى نفسه الميقة ونسبر غورها ونبدد ما تكاثف فيها من
 الظلمات . وكلما توغلنا في مجاهل هذه النفس وفي معرفتها الميقة شعّ لنا منها
 ضياء . متزايد قادنا الى التحسّس باسرار الشاعر والى الدخول الى اعماقه وكنوزه .
 وأبداً نفهمه ونصبح وايه واحداً ويضع الشاعر فينا فتدوّقه ونحسّ باحاساساته
 ونعيش معه ومع بيئته ومحيطه . وما قراءة الشعر الحقيقي ، الا بحث جديد
 حياة الشاعر واعوار حياته ، وخلق لزمانه وبيئته الاجتماعية والادبية والدينية .
 ونحن إذ تقدم اليوم نشيد الميلاد للشاعر رومانس المرخم نجتهد في التعرف
 الى نفسيته وإحساساته ونقف على بسطة خياله ومدى تفكيره وبُعد رموزه
 وسمو شعره وجمال مقطوعاته وغنى الفاظه الموسيقية الساحرة . فان له رموزاً لفظية
 وطبقات شعرية وجناسات بديعية توقظ في الاديب شعوراً رقيقاً وتفكيراً عميقاً
 وجمالاً عالياً من الشعر الصافي ، فيشمر بتلك العبقرية الادبية التي تميز ببعد
 الروحي وصفاء الالهام وسناء الالهة المنتشرة على هذا الكون في انعام الشعراء .
 في احدى الليالي هبط النعاس على رومانس بنوع عجيب فطار وهو في الحلم
 الى السموات فرأى نفسه بين اجواق الملائكة والساكنين ودنا منه ملاك وقال
 له : ما بالك صامت ألا انبض وانشد معنا ترانيم السماء . آنذاك تعلم رومانس
 الافشاد ولما أفاق من رقاده العجيب أحسّ بالوحي يهبط عليه ويحرك شفتيه
 ويلس قلبه بنفحات ملوّه الشعر ونفوسها الموسيقية وروحها نقاء الالهام وكان
 ذلك في ليلة عيد الميلاد . اسمه اسمه في سكون الليل وروية الصلاة ا اسمه

يرسل في الكون الحان السماء ، انشودة الملائكة والشاروبيم .
 انظره يرفرف بأجنحة الحيال فوق ربوع بيت لحم فإذا ابتشاهد الميلاد غمر امام باصريه
 بتفاصيلها ودقائقها ، وإذا بالكون كله يساهم في تكوين الملحة الاولى الرائعة ملحمة
 النصرانية ، وتلك الانشودة الساحرة انشودة الميلاد . ومتى سمعت مقدمة النشيد « اليوم
 البتول تلد الفائق الجوهر » فلا يأخذك العجب بل انتظر النهاية ودع عظمة تلك
 السلسلة الموزونة من اربع وعشرين مقطوعة ، دعها تتوالى على مسامحك بسلاستها وجمالها
 المتناهي بالروعة . ومتى سيطرت عليك هذه المقطوعات ضم صوتك الى صوت الشاعر
 وردد معه هذه المقافات : « وُلد المسيح ا وُلد طفلاً جديداً الاله قبل الدهور ا »
 هذا هو النشيد الذي لبثت مدينة القسطنطينية تتغنى به حتى ما بعد القرن الثاني
 عشر في ابهى حفلات البلاط الملكي . هذا هو نشيد الميلاد الذي جمع البساطة الى
 السمو والروعة الى الجمال ، والعمل المسرحي الى سرد الحوادث بفن وشاعرية .
 يُقسم النشيد الى خمسة اقسام :

١ - استدعاء المؤمنين الى بيت لحم (مقطوعة ١) ؛ ٢ - صلاة العذراء
 الى طفلها الالهي (مقطوعة ٢ و ٣) ؛ ٣ - حضور المجوس وحوارهم مع العذراء
 (مقطوعة ٤ - ١٢) ؛ ٤ - حديث المجوس عن سفرهم ومشولهم امام هيرودس
 ومباحثتهم معه ؛ ثم السجود وتقديم الهدايا (مقطوعة ١٣ - ٢١) ؛ ٥ - صلاة
 العذراء وختام النشيد (مقطوعة ٢٢ - ٢٤) .

ويمكننا ان نحدد نوعاً من الاتساق والوحدة في تأليف هذا النشيد . انه
 يتألف من قسمين اساسيين يحتويان على عدد محدود من المقطوعات . القسم الأول
 (مقطوعة ١ - ١٢) يكثر فيه العمل المسرحي والحوار اللطيف الرشيق . والقسم
 الثاني (مقطوعة ١٣ - ٢١) يكثر فيه سرد الحوادث ويتألف من جزئين هما
 البداية والنهاية . فالاولى تتألف من مقطوعتين (١ و ٢) والنهاية من ثلاثة
 مقطوعات (٢١ - ٢٤) وهذان الجزآن يؤلفان سجود العذراء وصلاتها الوداعة .
 والمقدمة في مطلع النشيد هي عرض للأشخاص والمكان ، ويدخل فيه
 الطفل الالهي والام العذراء . والملائكة والرعاة والمجوس والكوكب والمنارة
 والارض . وذلك في العشرة الابيات الصغيرة الاولى . وهذا العرض للجزء
 يقرب الشاعر رومانوس من الشاعر الانرني المسرحي الشيد « راسين » الذي

يعرض ترواً بي اول مسرحياته الموضوع والاشخاص والزمان والمكان .
وبعد هذا الطلع يحكي الشاعر بيت لحم رموز الكتاب المقدس واقوال
الانبياء . ثم يبدأ الحوار اللطيف بين الام ساجدة امام طفلها الالهي مخاطبه
خطاب الملوك وهو متوسد مزود البهاثم « وفي مقارة غريبة » . وبعدئذ يصل
المجوس ويتقدمون من المييت « يستأذنون بالدخول » فتسأل الام ابنها مثل ملوك
المشارك امام « فقره القتي » . وسكتته المكرمه « واذا يدخلون يعبرون عن
دهشهم من الولادة العفيفة وتؤكد لهم العذراء ان وجود يوسف خطيبها انما هو
لصيانة بكارتها من التالين وللشهادة على ولادتها الالهية . وبعد ذلك ينجرها المجوس
ما حدث لهم مع هيودس والقريسين ويصفون لها « بابل » الوثنية والمذهلات
الصائرة بالكوكب العجيب . ثم يقدمون للطفل الاله هداياهم ساجدين . وينتهي
النشيد بصلاة العذراء التي تمثل الكنيسة فتسأل النعمة والخلاص للعالم بأسره .
هذا هو النشيد في مادته وموضوعه وهذا هو الانسجام الخارجي الموضوع
لهذه الاربع والشرين مقطوعة .

وهو ايضا ملحمة قصيرة يستعرض فيها الشاعر مشهداً من مشاهد الانجيل
يتوسع فيه كيفما يقوده خياله وعقله وشعوره . وربما كان هذا اول انشيد
رومانس التي خلقت له الصيت الحفاق من شواطئ بيروت حتى شواطئ البوسفور .
ونشيد الميلاد هو بالحقيقة من اجمل الاناشيد واخصبها فكرة واروعها
معنى واغزرها انطلاقا واجلها خيالاً واوسعها مدى واعمقها درساً لنفسيات عدة
واجزلها شعراً وموسيقى .

فهناك نفسية الأم العذراء . تظهر اللطف بالذات والحنان والوداعة : « انت
لي مجد ، انت لي فخر فلست اخجل . انت انت النعمة وزينة هذا المسكن
وجالي »^(١) . وهي الاناقة الماية : « أشاهدك بالقط وزهرة بكارتي لم تقض ،
انت حفظتها حين ارتضيت ان تولد طفلاً جديداً وانت الاله قبل الدهور »^(٢) .
ويلي هذه العاطفة شعور عميق يترج باعجاب وذهول : « اراك ، يا حشاشتي
فاذهل ، لاني ارضعك ولم اقترن بزوج »^(٣) .

وتبقى هذه الام القتي نشيطة جريئة : « للحال صرخت العذراء بالمجوس :

من انتم^(١)، ثم نليت في حديثها مع ابنها ذاهلة ولكنها متسامية : « قل لي ،
بني كيف زرعت ، كيف نشأت في ؟^(٢) وتريد ان تدوم في رتبها ولو اصبحت
اماً اللاله فهي » تسكن المفارقة التي سكتها بارادته ابنها الطفل الجديد^(٣) .
ثم تذهل من محبة الله للناس فتسأله : « ايها الملك الرفيع مالك وللفقراء ؟ يا
صانع السماء ، لم اتيت الى ابنا ، الارض ؟^(٤) » .

وهي مع محبة طفلها تحب البشرية وتشر برساتها العميقة والبعيدة المدى
فتشر بأنها ام البشرية : « يا ابي لست لك ونحكك أما ... فانا اسألك من
اجل الجميع ، انت اقمتي لأنكرون فأ ومجداً لجنسي كله .^(٥) »

وهناك نفسية المجوس المخلصين لصوت الايمان يتكلمون باحترام ووقار امام
الأم واذا ما استفسروا فن باب الدالة والشعور بالمسؤولية : « وأنت من
تكرنين وقد انجبت طفلاً كهذا ؟ من ايوك ؟ ومن امك حتى صرت امماً
وحاضنة ابن بغير أب^(٦) » . ثم انهم يستفهمون كفافاً عن وجود رجل داخل
خدر المذراء : « فمن اين لك ، يا عذراء ، هذا الزوج الذي نراه في خدرك ؟
أليس ايلادك لا دنس فيه ؟^(٧) » . ولكن عندما يسمعون الى الاسباب التي
تعطيها مريم لوجود يوسف معها يطلون قلب المجوس الأمانة ويخبرونها بوضوح
عن سقمهم ثم يسجدون للطفل ويقدمون له الهدايا : « قدم المجوس بأيديهم
الهدايا وسجدوا لهدية الهدايا وطيب الطيوب^(٨) » . نفسية المجوس تظهر غنية
بمحبة الحقيقة ويبحثون عنها باخلاص : « أتريدن ان تعلمي من نحن ومن اين
أتينا ؟ من ارض الكلدانيين . من بابل . تركنا نارا تلتهم كل شيء ، فشهدنا
نارا تديرة^(٩) » . ولأجل الوصول الى هذه الحقيقة طافوا المدن ومرورا باخطار
عديدة : « لقد جزنا في متاي الارض وسهرنا اغوارها ونحن نبحث عن ضياء
الكوكب اين يولد طفلاً جديداً الاله قبل الدهور^(١٠) » .

وتكثر في هذا النشيد الصور الشعرية الرمزية التي تجمل من رومانس شاعراً
مقرباً يضاهي اكبر الشعراء على مر العصور .

- | | | | |
|--------------|---------------|---------------|----------------|
| (١) مقطوعة ٥ | (٢) مقطوعة ٢ | (٣) مقطوعة ١٥ | (٤) مقطوعة ١٥ |
| (٥) مقطوعة ٣ | (٦) مقطوعة ٢٣ | (٧) مقطوعة ٢١ | (٨) مقطوعة ١٣ |
| (٩) مقطوعة ٦ | (١٠) مقطوعة ٥ | (١١) مقطوعة ٩ | (١٢) مقطوعة ١٣ |

اسمه يتكلم بتصاريف دانتى : « ابو الأم يقدّر ابنها عن رضى »^(١). وبهذا المعنى انشد الشاعر الطلياني في الكوميديا الالهية : ابنتها الأم العذراء ، يا ابنة ابنك
(Vergine Madre, Figlia del tuo Figlio)

ومن جمالات هذا النشيد الاستعارات الجريئة : « اسمع ، بني ، ان يلجوا حماك فيشاهدوا قفرك النفي وممكنك المكرمة ا »^(٢) ومنها قول العذراء لابنها وهي تجعل من الاشياء اشخاصاً : « أعشت المغارة ؟ ام استهواك المذود ؟ »^(٣) وهناك الروعة في الاناقة واللفظ مشهد العذراء الأم : « وانحنت ساجدة للتكرن من احسانها »^(٤). وقولها اللطيف في آخر النشيد : « واذهب الى مصر هاربة معك لاجلك يا قائدي ، يا ولدي ، يا خالقي ، يا منقذي ، اياها الطفل الجديد الاله قبل الدهور ا »^(٥) هذه النبرات اللطيفة تتفجر من ينبوع المحبة الوالدية التي تحب ابنها حتى الهيام وحتى العبادة فتصرخ بفعل ايمان قوي هو صدى محبتها لابنها : « اياها الطفل الجديد الاله قبل الدهور » ومنها مشهد الملوك يسجدون لهدية الهدايا وطيب الطيوب .^(٦)

ومن جمالات هذا النشيد حسن التلاعب باللفظة الواحدة يحتملها رومانس الشاعر معاني كثيرة توحي رموزاً عدة واوحات ومشاهد من الكتاب المقدس فيسر رومانس بلباقة من معنى الى معنى ومن صورة الى صورة حتى يصل الى تصوير الرمز المتيق الذي يريده للفظ الواحدة . هكذا يتلاعب مثلاً في لفظة « نجم » في المقطوعة الخامسة فيستعملها ست مرات الى ان يصل الى تصوير النجم الحقيقي يسوع المسيح وهكذا يتلاعب بلفظة باب كما في المقطوعة التاسعة اذ ير رومانس بلباقة ورشاقة من تصوير الباب الذي جاءت صورته في حزقيال (٢-٤٤) الى الباب المادي الذي فتحت العذراء الهجوس الى الباب المعنوي الدال على احشاء العذراء الذي دخله المسيح وحده وبقي معلقاً الى ان ينتهي بالباب يسوع المسيح الباب الهاري الذي يفتح لابناء البشرية ويدخلها الى السماء .
« انا هو الباب ومن يدخل فيي يجد المرعى » (يوحنا ١١-١٢)

(١) مقطوعة ٢٦

(٢) مقطوعة ٣

(٣) مقطوعة ٢

(٤) مقطوعة ٢١

(٥) La Divina Commedia Paradis. chant 33 (vers 1)

(٦) مقطوعة ٦

(٧) مقطوعة ٣

ومن جمالاته ايضاً تلك الرموز الى آيات الكتاب المقدس ومشاهده العديدة
ففي كل مقطرة يعطي الشاعر اشارة الى مشهد منه او الى آية من آياته
البيئات وفي ذلك يفتح للقارئ نوافذ عديدة تطل على مشاهد واسعة . فمن بئر لم
تحتفر اشتهى داود ان يشرب منها ، اشارة الى عطش داود حينما كان يحارب
جيش الفلسطينيين الى ثمار الفردوس حيث كان يتخطى آدم قبل الخطيئة
ونجم يعقوب ونبوءات بلعام الى عليقة موسى الملتبسة وغير المحترقة وعصى موسى
تشق الصخرة الصلبة وعمود النار يقود بني اسرائيل في البرية وهرب بني اسرائيل
من مصر واعتذائهم بالن الى تعب حبقوق الذي اخذ الطعام لدانيال وهو في
جب الاسود كلها اشارات ورموز توحى كثيراً من المعاني بالفاظ يسيرة .

ولا يترك القارئ هذا النشيد الا واستأثر به الشاعر وملك على قلبه وعقله
وخياله فيشعر بالحاجة الى ترك نار المادة تلتهم فيه ما هو سام ورفيع ويشعر
بأنه لا يقرب من جوهر الشعر الا متى احس بنار الالهية اي بتلك « النار
النديّة » تغدق عليه الصفاء والوحي الرطيب واذا بالالفاظ تعبّر عما شاهده
رومانس عن نار نديّة عن اله يصدق بولده اللطف والايّناس والطهر والمحبة
فيرى في الكون بينه ما رآه الشاعر الاقرني بول فاليري في قصيدة المدافن
البحرية « نارا بدون مادة »^١ Un feu sans matière .

والشيء الخاص بشاعرية رومانس هو تلك النظرة الحافظة للأشياء وللصور
ينظر الى الصور بعين قلبهم الاوان فيصور بالالفاظ ما تشعر به النفس في
الاعماق او ما يصوره الفنانون . بالالوان وله نظرة عميقة الى نفسية الاشخاص
الذين يتبادرون على مسرح انشيدته وله موهبة عجيبة فريدة للتعبير عما يحس
ويشعر ويفكر . وخصوصاً له فن رائع في جمع الاصوات بنوع شيق فتخال
وايت تقرأ انشيدته انها مجموعة من الاصوات والاجواق المتداوكة تتردد في
مسع البرايا نبرات ساحرة وايجامات واثبة . فرومانس إحقاً هو من ناثري
الافكار على انطلاق واسع خصب يضم في انشيدته روعة الادب اليوناني
ورشاقة ولباقة الشعراء الكبار على مر العصور .

نشيد الميلاد

للقديس الشاعر رومانس المرنم

مقدمة

اليوم البتول
تلد الفائق الجوهر
والأرض تقترب المنارة
لتعير المقرب اليه
الملائكة مع الرعاة
يمجدون
والمجوس مع الكوكب
يسرون
لانه من اجلنا ولد
طفلا جديدا
الاله قبل الدهور

(١)	هلم فنظر بيت لحم	(٢)	ابو الأم
	فقد فتحت عدنا		ينبدو ابنها عن رضى ^(٢) ؛
	هيا فنجد النعيم	٣٥	مخلص الأطفال
	في الخفاء		يتوسد المذود طفلاً؛
١٥	هلم فنحن ثمار الفردوس		تأملته امه
	داخل المغارة		فهمت :
	هناك ظهر		« قل لي بني »
	اصل بغير سقي	٢٥	كيف زرعت ؟
٢٥	يتفرع منه الفقرا		و كيف نشأت في ؟
	هناك وجدت بر		ازاك يا حشاشتي
	لم تحتفر		فأذهل
	اشتهى داود قديما		لأني ارضعك
	ان يروي منها ^(٢)	٣٥	ولم اقترن بزوج ؟
٣٥	هناك عذراء		اشاهدك بالقمط
	حينما ولدت طفلا		وزهرة بكارتي
	اروت للحال		لم تفض
	ظما آدم وداود		انت حفظتها
٣٥	لنسرع الى حيث وُلد	٥٥	حين ارتضيت ان تولد
	طفلا جديدا		طفلا جديدا

وانت الاله قبل الدهور

الاله قبل الدهور .

(٢) سفر الملوك الثاني ٢٣-١٥ (فتأوه داود وقال من يعني ماء من بر بيت لحم ؟)

(٣) راجع الكوميديا الالهية لدانتي الشاعر الطلياني في النشيد الثالث والثلاثين من الفردوس

Vergine madre, figlia del tuo Figlio, (vers 1)

- (٣) ايها الملك الرفيع ، (٤) ٧٥ بينا كانت تستسيع
٥٥ ما لك وللفقراء ؟ هذا في سرها
يا صانع السماء ،
لم آتيت الى ابناؤ الأرض ؟ سمعت المجوس
أعشقت المغارة ؟ يبحثون عن طفلها
أم استهواك المذود ؟ ٨٠ للحال صرخت العذراء بهم :
٦٠ انظر ليس في القرية « من اذتم ؟ »
من مكان لأمتك . وهم اجابوا :
وما لي اقول مكان ، « وانت من تكونين
حتى ولا مغارة وقد انجبت
٦٥ لان هذه ايضا ، ٨٥ طفلاً كهذا ؟
هي لآخر غريب . من ابوك ؟
سارة لما ولدت ابنا ومن امك
أعطي لها حتى صرت اما
ميراث من الارض فسيح ، وحاضنة ابن
٧٥ واما انا فلا مأوى لي . ٩٠ بنير أب ؟
لكني اسكن المغارة فخذ رأينا نجمة
التي سكنتها بارادة حكمتا بانه
طفلاً جديداً يظهر طفلاً جديداً
وانت الاله قبل الدهور ٩٥ الاله قبل الدهور . «

- ٥) اجل ! أعدنا بلعام باعتنا . (٦) عندما سمعت مريم
لندرك النبوءات
التي تنبأ عنها
١٠٠ قائلا :
« سوف يُشرق نجم »^{١)}
نجم يُنمِدُ
جميع العِرافات
والعِيافات ،
١٠٥ نجم يحلُّ
امثال الحكماء
واقوالهم وألغازهم .
نجم النجم
الذي هو أوفر ضياء
١١٠ من الشمس التي تثيرنا
بما انه خالق
جميع النجوم ،
وعنه قد كتب :
« من يعقوب يُشرق »^{٢)}
١١٥ طفلا جديدا
الاله قبل الدهور .
وانت الاله قبل الدهور .
عندما سمعت مريم
هذه الاقوال العجيبة
انحنى ساجدة
للمتكون من احشائها ،
وهتفت بكاء :
بني ، ما اعظم
اجل ، ما اعظم
كل ما صنعت .
مع حقارتي ،
ها ان المجوس
ملوك المشارق
خارجا يبحثون عنك ،
واغنياء شعبك^{٣)}
يستعطفون وجهك
طالبين أن ينظروك .
ان هؤلاء هم
شعبك حقا ،
وقد عرفوك
طفلا جديدا
وانت الاله قبل الدهور .

(٦) سفر العدد ٢٣-٢٢

(٢) سفر العدد ٢٤-١٧

(٨) مزبور ٦٤-١٣

- (٧) وبما انهم شعبك الخاص (٨) ١٦٠ ان يسوع المسيح
 فاسمح ' بني
 ١٢٠ ان يلجوا حالك
 ويشاهدوا فقراً غنياً
 ومسكنة مكرمة.
 انت لي مجد ' ١٦٥
 انت لي فخر ' ١٢٥
 فلست اخجل .
 انت انت النعمة ' ١٦٥
 وزينة هذا المسكن ؛
 وجمالي ' ١٧٠
 فاذن الان ١٥٠
 ان يدخلوا هذا الحمى .
 لا يهمني فقري ' ١٧٥
 اذ انت كبري .
 ها قد اتى الملوك
 لينظروك ' ١٥٥
 وعرفوا مع المجوس
 انك ستظهر
 طفلاً جديداً
 وانت الاله قبل الدهور ' ١٨٠
 انا الاله قبل الدهور .

٩) إقبلي الان ، يا عفيفة ،	(١٠) حينئذ دخل المجوس
إقبلي الذين قبلوني ،	الى الخدر ،
لاني فيهم	ولما ابصروا المسيح
كما انا على ذراعيك ؟	٢٠٥ خافوا ، لانهم شاهدوا
١٨٥ اتيت مع هؤلاء ،	ام الصبي
وما فارقتك .	وزوج امه
اما هي ففتحت الباب ،	فهتفوا بخوف :
وتقبلت	« هذا الابن
شجرة المجوس .	٢١٠ لم يولد من رجل ؟ ^(١٢)
١٩٠ فتحت الباب	فن اين لك ، يا عذراء ،
من هي باب مغلق للجميع ^(١١)	هذا الزوج
الذي اجتازه المسيح وحده	الذي زاه الآن
فتحت الباب	داخل خدرك ؟
من هي ابدا مغلقة	٢١٥ أليس إيلادك
١٩٥ غير مسلوب	لا دنس فيه ؟ ^(١٣)
كتر بكارتها ؛	فلتكن بلا ملامة
فتحت الباب	مسا كنتك ليوسف
من ولد منها	فاحساد كثيرون
باب السماء للعالم ،	٢٢٠ يبحثون عن مولد
٢٠٠ طفلا جديدا ،	طفل جديد ،
الاله قبل الدهور .	هو الاله قبل الدهور .

- (١١) « قالت مريم للمجوس (١٢) سيحدثكم يوسف بوضوح
 سائين لكم ٢٢٥
 لا أي الاسباب احتفظ ٢٢٥
 بيوسف في مسكني :
 لأضع حداً لأقوال الثالين .
 انه الشاهد الذي سيخبركم
 بجميع ما سمعه ٢٢٥
 عن ابني :
 لانه فيما كان نائماً
 ابصر بالحلم ملاكاً قديساً^(١١)
 اعلمه كيف جلت افك .
 فرؤية هذا الروح الناري^(١٢) ٢٢٥
 تحققت ليلاً
 و مر يوسف من الارتباب
 الى تمام اليقين ،
 وتخلص من الأوهام
 التي كانت تقلقه
 فهو يمشي معي ٢٢٥
 مير هنا على ان هذا
 الطفل الجديد
 هو الاله قبل الدهور
 سيحدثكم يوسف بوضوح
 بجميع ما سمعه ،
 ويشرحكم بدقة
 بجميع ما شاهده
 من المدهشات السأوية
 والارضية .
 ويحدثكم كيف تسبح
 الارواح النارية^(١٣)
 مع ابناء الارض
 تسابيح الرعاية .
 بينما ان الكوكب النير
 ظهر لكم ايها المجوس ٢٢٥
 وقادكم في سفركم .
 إلا دعوا المقولات
 واخبرونا الان
 عن الصاژات معكم
 فمن اين آتيتم ؟ ٢٢٥
 وكيف عرفتم
 ان قد ظهر
 طفلاً جديداً
 الاله قبل الدهور ؟ »

- (١٣) ٢٦٥ بعد ان قالت لهم المنارة (١٤) ألا كل شي باطل
 هذه الاقوال كلها ؛ ٢٨٥ وباطل الاباطيل !^(١١)
 هتف بها مصابيحُ المشرق : ولكن ان يفكر احد
 « أتريدن ان تعلمي في هذا فلن يضل ابدا .
 من نحن ومن اين اتينا ؟ الناس بعضهم ضالون
 ٢٧٥ من ارض الكلدانيين والبعض مضلون .
 حيث لا احد يقول : ٢٩٥ فيا ايها العذراء ،
 « إله الالهة الرب ! »^(١٢) النعمة لوليدك الذي به تحررتنا ،
 من بابل لا من الضلال فحسب ، لا من الضلال الا ما كن
 حيث يجهل الناس بل من اخطار الاماكن
 ٢٧٥ من خالق النور ليعبدوه . التي قطعناها ،
 لقد اتي الى هناك واخطار الشعوب
 شمع ضئيل من طفلك هذا التي لا تعرف الاله ،
 وقادتنا من نار بابل ؛^(١٣) ٢٩٥ واخطار اللغات المجهولة .
 تركنا نارا تلتهم كل شي ، لقد جزنا في متايه الأرض ،
 ٢٨٥ فشاهدنا نارا ندية^(١٤) وسبرنا اغوارها
 تعطي النور الحقيقي ونحن نبحت على ضياء الكوكب
 بطفلا جديداً — اين يولد طفلا جديداً .
 الاله قبل الدهور الاله قبل الدهور ا

(١٧) سفر تثنية الاشتراع ١٥-١٧

(١٨) دانيال ٣-٢٥

Paul Valéry : *Le Cimetière marin*, strophe X : « Fermé, sacré, plein d'un feu sans matière »

(٢٠) سفر الجامعة ١-٢

- (١٥) وبينما كان يُضيء لنا هذا المصباح ،
 ٣٠٥ طفتنا اورشليم كلها ،
 مكملين اقوال الانبياء .
 وباحثين عن حقيقتها ؛
 وكنا سمعنا بان الله قاصد
 ان يفتقد اورشليم^(١١)
 ٣١٠ وبفضل هذا المصباح
 جزنا المدينة كلها .
 علنا نجد فيها
 الحجة الكبرى
 فلم نجدها ،
 ٣١٥ لان التلك كان
 قد رفع عنها
 صحة الاشياء الثمينة
 التي كانت قديما .
 لقد زالت القديمات .^(١٢)
 ٣٢٠ وجدد كل شي .
 طفل جديد
 الاله قبل الدهور .
- (١٦) اجل ا قالت مريم
 للمجوس الامناء :
 ٣٢٥ « هل طفتم اورشليم كلها ،
 اورشليم تلك المدينة
 قاتلة الانبياء .^(١٣)
 كيف انتطعمت العبور فيها
 دونما اذى
 ٣٣٠ على الرغم من انها
 بغيضة لدى الجميع ؟
 كيف تملصتم من هيرودس
 ذاك . المتلهب الى الدماء
 خلافا لما تسنه الشرائع ؟^(١٤)
 ٣٣٥ اما المجوس فقالوا لها :
 « ايها العذراء ،
 لم نملص منه .
 ولكن سخرنا به ،^(١٥)
 وكنا مع الجميع
 ٣٤٠ نبحت اين يولد
 طفلا جديدا ،
 الاله قبل الدهورا »

(٢٥) متى ٢-١٧

(٢٣) لوقا ١٣-٣٢

(٢٢) اعمال ٩-١

(٢١) صفيا النبي ١-١٢

(٢٢) كورنثس ٥-٧

- (١٧) ان والدة الاله
لما سمعت اقوال المجوس
٢٦٥ قالت لهم: « ماذا سألكم
الملك هيرودس والفريسيون؟ »
« ان هيرودس اولاً »
وعظماً أمتك ، كما قلت ،
تحققوا من ابدقة
٢٧٠ عن زمان النجم
الظاهر الآن ،^(٢٦)
ولما عرفوا ذلك
حسبوا نفوسهم جهلاً
ولم يرغبوا ان يشاهدوا
٢٧٥ من كانوا يبحثون عن معرفته^(٢٧) من شواطئ النيل ،
فلو عرفوه
لبحثوا عنه ،
فقد كان مجدياً
للباحثين
٢٨٠ ان يشاهدوا
طفلاً جديداً
الاله قبل الدهور !
- (١٨) ان الحمقى حسبونا مثلهم حمقى
فسألونا مستفسرين :
« من اين اتيتم ؟ »
ومتى اتيتم من بلادكم ؟
كيف لم تسلكوا
سبلاً ظاهرة ؟
فسألناهم بدورنا
عما يعلمون :
« وانتم كيف سلكتم قديماً
ذلك القفر الواسع ؟
ان الذي قادم
عندما كنتم تهربون
من شواطئ النيل ،
هو هو قادتنا في سفرنا
ودعانا اليه الآن
من بلاد الكلدانيين .
أما قديماً فبعمود من نار ،^(٢٨)
واما الآن فبكوكب يُظهر
طفلاً جديداً
الاله قبل الدهور .

(٢٦) متى ٢ - ٧

(٢٧) سفر الخروج ١٣ - ٢١

(١٩) « كان الكوكب

(٢٠) هذا ما صرّح به

يقود خطانا

٢٠٥ المجوس المخلصون ،

٣٨٥ في كل مكان ،

فاطمات اليهم

كما صنع موسى قديماً

العذراء المجيدة ،

حينما أطلع لكم عصاه ،^(٢٨)

واثبت الطفل

فأناركم بالحقيقة الالهية .

٢١٠ كلام الفريقين :

انتم في القديم

كلام البتول

٢٩٠ غذاكم المن

اذ جعل احشاءها طاهرة

وروتكم الصخرة الصلدة .^(٢٩)

بعد الولادة ،

واما نحن فامتلاتنا

وكلام المجوس

من الرجا بهذا الطفل ،

اذ لم يُظهر الوهن

وارتويتنا من نعيم .

٢١٥ لا في رغبتهم ولا في خطواتهم ؟

٣٩٥ فما خطر بفكرنا ونحن بفارس

لان كلا منهم

ان نعود الى الورا .

تحمل التعب

او نسلك سبيلا غير مسلوک .

مثل حبقوق النبي

بل كنا نشاق

عندما ذهب الى دانيال

ان نشاهد الصبي

٢٢٠ فانه لم يشعر بالمي .^(٣٠)

ونسجد له

— فالذي ظهر قبلا للانبياء ،

٢٠٠ ونمجده

هو هو اظهر ذاته للمجوس :

طفلا جديدا

طفلا جديدا

وهو الاله قبل الدهور .

— هو الاله قبل الدهور . —

- ٢١ ٢٢٥) وبعد كل هذا الحديث ، (٢٢) ان المدراء الطهور
 قدم المجوس
 بأيديهم الهدايا وسجدوا
 لهدية الهدايا
 ويطيب الطيوب . ٢٣٠
 قدموا للمسيح
 ذهباً ولباناً
 ومرراً ،
 وهتفوا : « إقبل
 هديتنا المثثة الاجناس
 ٢٤٠ كما تقبل تسبيح السارافيم
 الثلاثي التقديس .
 ولا تعرض عنها
 كما اعرضت قبلاً
 عن تنادم قاين ،^{٢١}
 بل احتفظنها ٢٥٠
 كذبيحة هابيل ،
 بشفاعه امك
 التي وُلدت منها
 طفلاً جديداً ،
 وانت الاله قبل الدهور .^{٢٢}
 ٢٦٠ وانت الاله قبل الدهور .
 ٢٦٥ وانت الاله قبل الدهور .
 ٢٧٠ وانت الاله قبل الدهور .

- ٢٣) ايها الابن الحنون ،
 بما اني لست لك وحدك اما ،
 فلا غرو ان ارضعتك
 انت ، يا رازق اللبن ،
 ولكني اسالك
 من اجل الجميع .
 أنت اقتني
 لا كون فماً ومجداً^(٢٢)
 ٢٤) خلص العالم ، يا مخلص ا
 لانك لهذا اتيت .
 واجعل الكائنات لك
 قل هذا أشرفت
 لي وللمجوس
 ولكل الخليقة .
 هوذا المجوس
 الذين أطلعت لهم
 شعاع وجهك
 يسجدون
 مقدمين لك هدايا
 فاخرة ومقيمة
 وغالية الثمن .
 انا استعين بها
 واذهب الى مصر
 هاربة منك لاجلك
 يا قائدي ، يا ولدي ،
 يا خالقي يا منقذي ،
 ايها الطفل الجديد
 الاله قبل الدهور
 ٢٥) لجنسي كله .
 وسيحرزني عالمك
 ستر عزيزا
 وسورا وثباتا ،
 والي سينظر
 المنفيون
 من نعيم الفردوس ،
 لاني سأعيدهم
 الى نعيم المعرفة
 انا التي ولدتك
 طفلا جديدا
 وانت الاله قبل الدهور

فردريك اوزنام

١٨١٣ - ١٨٥٣

علم الاب اعاضوس سر كليس
من الرهانية النورية

اصفقت « شركة القديس منجور دي پول » هذه السنة في فرنسا
واوربا وسائر انحاء العالم المسيحي ، بذكرى مرور المئة سنة
الاولى على وفاة مؤسسا فردريك اوزنام (١٨١٣ - ١٨٥٣) .

وهذه الذكرى حاضرة ولا شك في اذهان قراء المشرق . كما ان حياة
هذا الرجل العظيم ليست ، على ما نظن ، بمجهولة لديهم . لذلك لم يكن من
حاجة الى الدخول في تفاصيل تلك الحياة الحافلة بجلال الآثار والمعبر . فنكتفي
هنا بتلخيص خطوطها الاساسية الكبرى التي لا بد منها لفهم سياق الكلمة
التالية . وقد جربنا فيها ان نستقصي عن الروح الذي سيطر على حياة اوزنام ، ووجه
جميع اعماله ، وكان ميزة صفاته وواسطة القدر في فضائله والدعامة الكبرى
للاخلاص السامية التي رفعت الى درجة عالية من الكمال الانساني والمسيحي .
عنينا بها فضيلة الايمان .

- ١ -

ولد فردريك اوزنام في ٢٣ نيسان ١٨١٣ في مدينة ميلانو وهي اذ ذاك
مقاطعة افرنسية وابوه ضابط في الجيش المرابط فيها .
وفي سنة ١٨١٦ عادت عائلته الى مقط رأسها في مدينة ليون . وبلاد
فرنسا ما تزال تغور بالثورات والانقلابات .
ومن ١٨٢٣ الى ١٨٢٩ تلقى دروسه الثانوية في الكلية الملكية في ليون .
وفي ١٨٣٠ قرر والده ان يعلمه الحقوق وادخله مكتب احد المحامين
للتسرس . وفي هذه السنة سقط حكم شارل العاشر وقام على العرش مكانه
لويس - فيليب .
وفي ١٨٣١ بدأ حياته الادبية والاصلاحية بمقالات في دحض مذهب السان -

سيولده . وقد نشرها في ما بعد في كتاب مستقل فكانت ، مع صغر سنه ،
مثار اعجاب الادباء .

وفي هذه السنة انتقل الى باريس لاقام دروس الحقوق . وكان من حظه
ان تعرف بالعالم المشهور اندريه - ماري امپير Ampère الذي ازاله في بيته
واسكنه غرفة ابنه المتغيب اذ ذاك في المانيا . . . وقد كان لمعاشره هذا العالم
العظيم اثر هام في نفسه .

وفي السنة التالية ١٨٣٢ انشأ مع بعض رفاقه مؤسسة «محاضرات التاريخ»
بقصد توسيع معلوماتهم الصحيحة والمناقشة المعيدة في ما هم فيه من دروس .

وفي ١٨٣٣ . وكان قد استوعب في نفسه حاجات الشبية المثقفة ، التس
من رئيس اساقفة باريس انشاء محاضرات فلسفية دينية في كاتدرائية نوتردام .
وفي هذه السنة عينها ، وللغاية نفسها ، انشأ مع ثمانية من رفاقه شركة «محاضرات
الرحمة» التي اتخذ لها في ما بعد القديس منصور دي پول شقيقاً وسماها باسمه
« شركة القديس منصور دي پول » .

وفي ١٨٣٥ مجت مساعيه الموفقة لدى السلطة الروحية . وارتقى صديقه الاب
لاكوردير منبر نوتردام مفتتحاً محاضراته الشهيرة . فكان ذلك فتحاً عظيماً للكنيسة
ونصراً للنفس الطيبة ومصدر غبطة وتزينة لاورثانم . وفي هذه السنة نال
شهادة الليسانس في الآداب . كما نال سنة ١٨٣٦ شهادة الدكتوراه في الحقوق .
ثم في ١٨٣٩ ، قدم لشهادة الدكتوراه في الآداب اطروحته عن « دانتى
والفلسفة المسيحية » و « القديس فرنسيس دي سال وتجديد اللغة الافرنسية »
فأحرز نجاحاً عظيماً رغم ما في موضوعه المزدوج من اشواك .

وعلى اثر ذلك سأم اليه تدريس «الحقوق التجارية» في مدينة ليون . فلمع
تجبه في التعليم . وبدأ حملاته في الاصلاح الاجتماعي .

وفي ١٨٤٠ خرج الاول في مباراة ال (Agréation) التي انشأها الحكومة
سنة ذاك لاختيار الاساتذة الاكفاء لجامعتها . وكان من نتيجة ذلك تعيينه
استاذاً للآداب الاجنبية في السوربون ، وهو لا يزال في السابعة والعشرين من
عمره . وبدأ سلسلة تلك الدروس التي نالت رغم وعورة موضوعها نجاحاً عظيماً
ورفعت شعبية صاحبها فوق جميع زملائه .

وفي ١٨١١، بعد ان تزوج وقام برحلة الى ايطاليا، استقر نهائياً في باريس .
وفي ١٨١٦ بدأ المرض يتعبه واضطره الى اتخاذ سنة راحة في ايطاليا .
وفي ١٨١٨ اشترك في نشر جريدة «العصر الجديد» (Ère Nouvelle) وانشأ
افتاحتها الاولى داعياً الى الاصلاح الاجتماعي الحقيقي .
وفي ١٨٥٠ عاد مرضه الى اتعابه . واضطره الى التنقل في سياحات مختلفة
لانتجاع الراحة وزيادة المعارف .

وفي ١٨٥٣، بعد ان قضى شهوراً في ايطاليا ، احس بقرب الاجل . وهو
في الاربعين من عمره . فطلب الرجوع الى وطنه . ولكن الموت داهمه وهو
بعد في مرسيليا ، في اوج الشهرة واختار الفكر والحاح الرغبة في العمل . فكان
لموته هزة ألم عميم .

وفي سنة ١٨٥٥ طبعت آثاره كاملة في بضعة عشرة مجلداً مع مقدمة بقلم
صديقه جان - جاك امبير (Ampère) .

- ٢ -

لا شك ان اسمى الفضائل وأعظمها ، كما يقول بولس الرسول ، انما هي
المحبة . فهي وحدها تبقى على الزمان والابدية ، بينما كل فضيلة سواها تقف
وتزول على عتبة ابواب السماء .

ولكن ما هي المحبة بدون الايمان ؟

وكيف يجب الانسان ما لا يعرفه ؟ فالايان اذن اساس معرفة الله وصفاته
السامية، والطريق الوحيد الى محبته ومحبة القريب والحلائق كما يرضى هو .
والى ذلك ولا شك نظر المجمع التريدينتي المقدس حين شبه الايمان في
حياة الانسان بالجذور في حياة الشجر .

وفي الواقع ان الشجرة لا تنمو وتحب وترتفع عالية ، واسعة الاغصان ،
غضة الاوراق ، الا وجذورها عميقة في الارض تمتص منها غذاءها وتوزعه باعتدال
على سائر الاجزاء .

والنفس السامية الرغائب ، المتطلعة الى العظام ، المتشوقة الى العمل والبناء .
والاصلاح يجب ان يكون الايمان اساساً لبنائها . وجذراً مخصباً ينضج اغصانها .

بل هو الجبر الرفيع الذي يجب ان تعيش فيه يوماً فيوماً وساعة فساعة حسب قول بولس الرسول : « ان البار من الايمان يحيا » .

فالايان اذن اعظم قوة للانسان في حياته . وامتد صلة بين الخالق الكلي القدرة والمخلوق الكلي الضعف ، بين مصدر الخير واداة توزيعه ، بين الينبوع الغزير والنفس العطشى . وهو الى ذلك ، وبسبب ذلك ، اكل فعمل عبادة واکرام يزيده العقل البشري الفاهم الراعي الى الله مصدر كل فهم وغاية كل عقل . لانه خضوع مطلق وثقة مطلقة واعتراف بعدمنا امام الوجود المطلق . وهذا الايمان يظهره الرجل العالم الواسع المدارك مقراً لا بما يضاد العقل بل بما يفوق قدرته من اسرار وغوامض ومعارف تجبي . عن طريق الرحي والسلطة لا عن طريق القياس والاختبار والحس ، تمجيد للعقل الالهني والعقل الانساني في آن واحد .

٥

وقد كان هذا الايمان المتين الرصين بادياً بين فضائل اوزنم العديدة . كالقائد الجبار المنتصب في وسط معكوه يحويه ويشيع فيه القوة والنشاط . بل كان كما قال عنه لاكوردير « الرباط السامي والمبدأ الوحيد للفضائل التي مارسها والصدقات التي نعم بها » .

ورثه عن اسرته التقية . وقد اثر عن احد اجداده ، وكان استاذ رياضيات ، قوله ، في مرض مشاحنات فلسفية : « على اللاهوتيين ان يتباحثوا ، وعلى الكنييسة ان تحدد ، وعلى استاذ الرياضيات ان يبلغ السماء على الخط المستقيم » (اشارة الى القاعدة الهندسية المعروفة من ان الخط المستقيم هو اقرب طريق بين نقطة واخرى) .

وأماه نجده وارادته . فاذا استثنينا فترة شك قصيرة انتابته ابان درسه الفلسفة وتقلب عليها بمساعدة استاذه ، نراه يحتفظ بصفاء ايمانه مدى حياته كلها بل ينسبه يوماً عن يوم ويحميه من غيوم الكفر والريب والاحمال . وقد قال يوماً انه لم يكن في الدنيا شيء اغر عليه من ايمانه ووطنه ومن خدمة الحقيقة وعمل الخير

وذلك رغم الصعوبات الكثيرة في طريقه . فقد نشأ في عصر اجتاحت

الروح الثولتيرية الملصدة، وهدمت التورة ما تبقى في النفوس من العقائد الالهية. ثم جاء باريس وهو شاب تقي نقي حيي، فاذا به في محيط فاسد فاسق. وسمع محاضرات اساتذة السوربون وكلها طمن في الدين وتقويض لاركان الايمان. فاعتصم بقوة ارادته وحافظ على كثره الروحي والاخلاقي. ولم يكن له من تغزية في تلك المحن اقوى من اللجوء الى محبة الله والثقة برحمته وعنايته.

بل ان المحن والصعوبات نفسها انما كان يتغلب عليها بالاتجاه الى تغزيات الايمان ومحبة الله. ففي عزله في باريس بعد فراق بيته وذويه، وفي حزنه بعد موت كل من والديه، في مكافحة الضلال بين مطييه وأقرانه في السوربون، وخاصة في مرضه الاخير واقتراب ساعة اجله الذي سيوقف مجرى نشاطه ويجرمه مواصلة الجهاد والخدمة. دائماً كان يجد بقرب الله وفي شدة ايمانه برحمته القوة والعزاء والسلوان.

وكان يعلم « ان ركن الايمان هو السلطة وليس العقل. وان العقل كالمشى قدّام السلطة الالهية، ضل سبيله ». ولذلك وضع رقبته تحت نير المسيح. واخضع عقله لتعاليم الوحي والسلطة ومشى الى هدفه مخلصاً حياته وقوته وفيه وعلمه لخدمة هذا الايمان. وحفظه كاملاً لا يتجزأ. « حاشا لي ان انكر واحدة من عقائد ايمان الذي اضحي بحياتي في سبيله. اجل احتي تضحية الحياة، حتى الشهادة. والشهادة كما يعرفها هو انما هي اعطاء الذات طوعاً، اعطاؤها كاملة، اعطاؤها حتى الموت يوماً فيوماً في سبيل محبة الله وخدمته. افلم يهدم صحته بطول الدرس والتأليف والالقاء، قبل ان يبلغ نصف عمره؟ وقد اضطرته الظروف يوماً الى اعلان ذلك في وجه بعض من لم يفهموا روحه. قال: « ان كانت صحي تدمت في الثامنة والثلاثين لولا رغبتى في الدفاع عن المسيحية؟ » على ان ايماناً كهذا لا يقوم ولا يدوم بلا تغذية وعناية. وقد كان اوزنام يغذيه بطلاقة الانجيل والتأمل في معانيه السامية كل صباح. كان يغذيه بطلاقة تاريخ الكنيسة المجيد واعمال اجبارها العظام. وقد كتب يوماً الى احد زملائه من اساتذة السوربون: « لو انك لم تكثف بالوقوف على عتبة المسيحية، بل عملت مثلي، فمشت في داخلها، وقضيت ثمانية عشر عاماً في درسها وغذيتها نفسك باقوال هؤلاء. الملائنة العظام من آباء الكنيسة لوجدت في ذلك ثروة

تليق بعقلك السامي ، ولما جلت من التسامح والحرية والاخاء ، ثمة من ثمار
الثروة الافرنسية . فهذه الفضائل انما تولت من على اقدام الحليب .
كان يغذيه بالصلاة الوضيعة العميقة حتى اصبحت حياته صلاة متواصلة .
فلم يذهب الى القاء محاضرة او درس الا بعد ان ركع وصلى لتلا ينسرب
على لسانه شي . من الضلال . ولم يدخل كنيسة الا جثا على ركبته واستنشق
زماً طويلاً في بحر ان صلاته يتاجي الله بمجادة ايمانه .
كان يغذيه بالاشتراك بسر الايمان الاعظم . فيحضر القداس ويتناول
القربان المقدس كلما استطاع .

اما مجاهرته بايمانه فتذكرنا بمواقف كبار القديسين من قبله . وهو القائل :
« اني سأظل متسككاً بأعمدة الهيكل حتى ولو تهاوت فحطتني في سقوطها »
اكانت اقوى من هذا الاعلان عبارة القديس اغوسطينوس : « انا مع روما حتى
ولو قادتني الى الجحيم . » ؟

وذلك انه وجد من علمه مثبثاً لايمانه . « فقتل تجمد الله في اعماق قلب العلم »
أفكانت نفسه السامية ترى بعين الروح تلك الحقائق العويصة بخلاف الاعياديين
من المؤمنين ، فيعلن مع يولس الرسول : « اني اعرف بين آمنت » ومع يوحنا
الحبيب : « الذي رأيناه ولمسناه وصمنا به نبشركم » ؟

حقاً هذا هو الايمان الذي طلبه المسيح من تلاميذه وقال عنه انه ينتقل
اليال . وان ما يحمله اوزنهام في نفوس معاصريه كان اعظم من نقل الجبال .

- ٣ -

ومثل هذا الايمان الراسخ يجز وراه ، ولا شك ، ثقة بالعناية الالهية الابوية
الحبة التي بدون ارادتها لا تسقط شجرة من رؤوسنا ولا يصيبنا ذرة من خير
او شر ؛ واستسلاماً بنوياً فرحاً لتدابيرها السامية حتى ما كان منها غامضاً
صعب الفهم لا يسوغه عقلنا البشري الضعيف .

ففي سنة ١٨٣٢ انتشر في باريس وباء الكوليرا بسعة سرعة حتى كان
معدل الوفيات فيه نحو مئة وثلاثين شخصاً يومياً . واندفع اوزنهام في خدمة
المرضى دون تحفظ او خوف . وظل مع ذلك بعيداً عن الخطر ولم يقترب الربا .
من بيت امير حيث كان يسكن . فنسب ذلك الى رحمة العناية الالهية .

واستشهد بقول المزمار : « يسقط عن جانبك أنوف وعن منك ريوات . وإليك لا يقرب السوء . »

ومن اقواله :

ان تدابير الله تتم على قوالي الزمان . واعظم الناس حكمة هم من تركوا يد الله تقودهم . فلنعمل اذن ما نستطيع ولنترك الباقي لعنايته . قليلاً من الثقة بالآب الهادي الذي يدون ارادته لا تسقط شجرة من رأسنا .

وحين كانت المعركة حامية حول تعيينه استاذاً في السوربون ، والمنافسون يشيرون عليه الحفاظ ، وهو من هو في عقيدته المسيحية . خاف ان يخر هذا المركز الممتاز الذي يستطيع فيه ان يخدم الله ودياته . ولكنه عاد ورمى بنفسه بتواضع بين يدي الله قائلاً : « اني ارجب ان يستلم الله هو نفسه زمام هذه القضية الهامة . واذا رأى ان فشلي فيها اكثر فائدة لخلاصي . فلا اطلب نذاتي سوى الرسوخ في عقيدتي والاطمئنان في داخلي . حتى ولو ظلت اسباب معيشتي غير مؤمنة » . ومن اقواله :

- لقد عوقبتنا نحن الكاثوليك لاننا وضعنا مجدنا في كبار كتابنا اكثر من اتكالتنا على قدرة الله . ان نحدثنا هي من فوق .

- وفي شد الازمات كان يردد : « لا اعلم الى اين تقودنا يداؤه . ولكنني واثق انها تدير بنا الى حيث ترى موافقاً » .

- وفي مرضه الاخير ، وقد ازدادت نفسه سوءاً بقدر انحطاط قوى جسده . كان يردد بثقة وثبات : الهى . اني اريد كل ما تريده وما دمت تريده ومثلما تريده ولانك تريده

وذاك هو الاطمئنان في قلب الله والتسليم التام لمشيئته الابوية الذي ليس وراءه غاية .

- ٤ -

ونتيجة طبيعية اخرى لذلك الايمان : التواضع .

قال الاب لاكوردير : « لقد تعلم اوزنام فلسفة صحيحة فجمل من المسيحي رجلاً حكيماً . ومن الحكيم انساناً وديماً لا يشمخ بعلم ولا بفضيلة .

تلك كانت خلاصة روحية اوزنام . فانه رغم كل ما امتاز به من عمق

المعرفة ، وسمو المكانة ، وسعة التأثير في عصره ، وعظم المشاريع التي حققها .
والخدم التي اداها ، ظل رديماً متواضعاً يعرف ان الخير والبركة هما من عند الله
وان الانسان ليس سوى اداة يستخدمها الله متى شا . وكما يشاء .

ولم يكن تواضعه زائفاً او متصنعاً فينكر ما لديه من مواهب وقوى وما
يتم على يده من اعمال . بل مع اقراره بذلك ، رده الى مصدره الحقيقي .
واعترف « ان كل موهبة كاملة انما هي من فوق من لدن ابي الانوار » .

وهكذا رأيناه ينسب كل نجاح حازه او خير عمله الى رحمة الله ومحبة
والى سعي اصدقائه وعنايتهم وتسامحهم ازا . ضعفه .

ورأيناه يرفض مرتين رئاسة الشركة التي اسسها وجعلها هدف حياته وغاية
امانيه ، مكثفياً فيها بالموضع الخفي المتعب .

ورأيناه يرفض الخلاح اصحابه في ترشيحه للنيابة عن مدينة ليون مدعيًا انه
دون ذلك قدرة ومعرفة وعافية .

وبناءً من اسراع عدة الشركة الى نشر خطبه الرائعة بحجة ان ليس فيها ما يستحق
النشر . ولكنه يعود فيستسلم عندما يقال له ان ذلك مفيد لانشاء فروع جديدة .

ورأيناه ، وهو على فراش الموت ، يصرح انه لم يعمل قط لمجده الشخصي
ولا لسمع مديح الناس . بل لخدمة الحقيقة فقط .

وبقدر ما كان شديداً على نفسه قاسياً في محاسبتها كان رحيماً متسامحاً في
معاملة القريب .

وبقدر ما كان بمقامه يرتفع في المجتمع وعند العلماء ، كان تواضعه ينسحب
وجبه للفقراء وخدمتهم يزداد ، ويحاور انه يستفيد من زيارتهم اكثر مما يفيدهم .

وهذا التواضع الذي يمارسه بمراده لشركته باسرها ايضاً ، لعلمه ان الله
يحارب المتكبرين ويولي المتواضعين نعمة . كتب سنة ١٨٥٣ من ايطاليا

يصف لاصدقائه ازدهار فروع الجمعية هناك لاختتم بقوله : « لكن مهما عظم
نجاح الشركة يجب الا نتكبر . بل بالعكس يجب ان يحملنا ذلك على الاتضاع .

ان عشب الحقل ، مهما امتد واقع ، لا يتكبر ولا يعتبر انه صار سنبليانة .
وفنحن مع ازدياد عددنا وازدهار عملنا ، لنبتغ على بساطتنا وضمتنا . ولا نقابل

ذاتنا بالمؤسسات العظيمة التي انماها الله في كنيسته » .

ويذهب الى ابعد من ذاك بكثير فيرغم مراراً ومراراً في رسالته « ان امراضه انما جاءت قصاصاً لخطاياها » .

وقد نعجب من هذا لدى علمنا ما كانت عليه حياته من الطهر والبعد الشديد عن الخطيئة والمسير الدائم في جانب الفضيلة والمحبة . وقد يحظر لنا ان في مثل هذه المزاعم شيئاً من التصنع او الرياء . والحقيقة ان مثل هذا التعبير معروف عند كبار رجال الله . حين اسفهم على اهانة الله والتقصير في الواجب .

فالالف الخطيئة لا يقاس فقط بفظاعتها وثقلها . بل يقاس ايضاً بدقة ضمير مرتكبها . وكلما تعمق الانسان في معرفة الله عظمت في نظره شناعة الخطيئة . - واذا اعلن قديس انه اعظم خاطئاً ، فلا يعني ذلك انه احصى جميع الخطاة وسرغور ضميرهم وقاس خطاياهم بخطاياهم . ولكنه يؤمن مخلصاً انهم لو نالوا ما نال هو من نعم لما سقطوا مثل سقوطه .

« واذا كنا نحن لا نشعر هذا الشعور ولا نستطيع تقديره ، فلأننا لا نزال اطفالاً في الايمان . قاصرين في المحبة ، لا نعرف ان نقيس غثلة الله وحقارتنا .

- o -

وقد يستطيع الانسان ان يتضع ويخضع امام الله الخالق الاعظم الى الكون بوجوده ورفيقته وجلاله . ولكن التواضع الصحيح انما يبدو في الخضوع والاتضاع امام اشخاص هم في الظاهر ناس مثلاً ، وربما اعتبرناهم اقل منا قدرًا . ولكنهم في الحقيقة يحملون سلطة الله لسيير الناس في سبيل الخير والصلاح والخلاص . - ذلك شأن السلطة الكنسية في العالم

وقد امتاز اوزنام طيلة حياته بالطاعة الوديعية للكنيسة ومثلها . والخضوع لتعليماتهم واوامرهم بكل حب وسرور .

فلم يرض قط ان ينشر مقالاً او كتاباً الا بعد تثبته من رضى السلطة الكنسية عنه .

وكان احترامه للكهنة والاساقفة ولكل ذي سلطة دينية بالغاً آخر الحدود .

وكان جل ما يرمي اليه ان يدافع عن اسم الكنيسة وتاريخها وآبائها .

حتى لقد اعتبر ذلك دعوة خاصة به لا يستطيع ان يتهرب منها .

ومن اقواله في هذا المعنى :

- يجب ان يظل سلطان المسيح حيث وضعه المسيح : في يد الاساقفة .

- نحن ابنا . الكنيسة قبل ان نكون ابنا . السوربون . وليس في ذلك

عضاضة . ولن اكون خائفاً ولا جباناً .

وحين زار البابا بيوس التاسع على اثر انتخابه كتب يقول : ... ثم قبلت

خاتمته . هذا الخاتم الذي وقع منذ ثمانية عشر قرناً ذلك العدد العظيم من الاعمال

والآثار الحادثة .

وحين حرمت الكنيسة مؤلفات الاب لامنه . وحين حرمت كتاب جوسلين

للأمريتين ، وكانا من اغز اصحابه ، لم ينظر الى الامر نظرة بشرية انانية .

بل وقف بجانب السلطة ، ونصح لصديقه ان يتلافيا الشر الذي اتياه ، ولم

يعد حديثه عنها الا عاطفة رحمة واشفاق .

وهو امر يقتضي في العصر الفواتيري . الذي عاش فيه قوة ارادة ، وصلابة

عقيدة وشدة في الجراءة لا حد لها .

- ٦ -

ذكرت الجزأة . وهي في الواقع من اظهر مزايا هذا الرجل العظيم ، ومن

اطيب ثمار ايمانه الحي العامل العاقل . وذلك رغم ما كان عليه من الحياء

والحجل الشديد في طبعه .

انه اخذ على نفسه ان يحفظ الايمان والفضيلة في نفسه ، وان يعان هذا

الايمان مهما كلفه الامر . وان يعيد ملك الفضيلة وسلطان المسيح الى نفوس

معاصريه . فيجب الا يقف دون ذلك عائق من حياء . بشري او تراجع امام

الحصرم .

ولست جراءة اوزنام جراءة الرجل الضيف الذي ينطوي ضعفه بستر من

الرواحة القاسية النائية ؛ ولا جراءة المتكبر الذي تأبى عليه طباع السوء ان يقر

بضعف او جهل او تقصير ، كما تأبى ان يحتل الى جانبه ذا مقام او معرفة او نفوذ .

وانما هي جراءة المؤمن الواثق من امتلاك الحقيقة ، السخي في توزيعها ،

المتفاني في حبها حتى لا يرضى ان يرى في خدمتها « خائناً ولا جباناً » .

وهذه الجراءة مارسها كل حياته ، منذ اول شبخته ، اذ اتبهرى على غضارة

عوده ، يفند آراء سان سيون الاجتماعية ويبين ما فيها من شطط وسوء عاقبة . وكانت هذه البدعة تكاد تتم لولا ان قيض لها الله هذا الشاب الطموح فوقف في وجهها .

وكثيراً ما اسكت اترابه الشباب المفاخرين بكفرهم او فجورهم . بل وكثيراً ما تعرض لمن هم اكبر منه سنّاً ومقاماً فافهمهم بداعة وصلابة ان الانسان لا يجوز له المباحاة والمجاهرة بالحاد او تقصير .

اما معاركه في السوربون ، سواء قلميذاً او استاذاً . فقد كانت صفحة من صفحات الجهاد الجليل . وهو الذي تجرأ امام المئات من رفاقه ان يرد على الاستاذ جوفروي في تعاليمه الكفرية وان يناقشه الحساب في وسط محاضراته ؛ وان يجبره على الاقرار بالحق وتعليم الصواب ؛ وان يطن على مسع جميع الحضور ان اتجه الفكر في السوربون قد تغير منذ دخلها هذا الطالب المنيد في عقيدته .

وما كاد يستلم منبر التعليم حتى جملة منبر محاماة عن المبادئ الصحيحة ، وجهه بالايمان المسيحي المضطهد ، واقتناع بان السلطة للوحي قبل ان تكون للعقل ، وانه ليس من تناقض بينهما .

وفي ذكر المواضيع التي اختارها لاطروحاته وتعليه وكتبه اكبر دليل على ذلك . فهو لم يخش ان يتقدم لدى الجامعة باطروحة عن الفلسفة المسيحية في شر دانتى ؛ ولم يخش ان يثبت ان القديس فرنسيس دي سال اعظم ذي فضل على اللغة الافرنسية ؛ وان القديس توما الاكوييني اصدق من مونتسكيو في احكامه الاجتماعية . وهكذا . ومن القريب انه كان يسيطر على سامعيه ببلاغة واخلاص فائقين . حتى ان احد متحنيه في شهادة الدكتوراه هتف في وسط الجلسة بعد سماع محاضراته : « يا اوزنام ، لا يمكن ان يكون انسان ابلغ منك الآن » .

قل له يوماً وهو داخل الى محاضراته ، ان بعض الطلاب كتبوا على باب مدرسته : « مدرسة صف اللاهوت » . فلما انتهى محاضراته ختم بقوله : « ليس لي الشرف ان اكون لاهوتياً . ولكنني افاخر بالي مسيحي مؤمن واضع كل قوتي في خدمة ايماني » . على ان الجرأة في اعلان ايمانه والمحاماة عن عقيدته لم تمن في نظره القسوة

في معاملة الخصوم والضالين بل كان من مذهب القديس فرنسيس دي سال في ان جرة من الخل لا تفعل في التقاط الهوام فعل نقطة من العسل .

وعلى هذا كان خلافه مع الكاتب الكاثوليكي الشهير لويس فليوت الذي كان مر اللسان قاسي القلم على الخارجين عن الدين . ولذا اتهم اوزنام بملااة اعداء الكنيسة والتسامح معهم . وقد اعلنت السلطة في ما بعد واقـر الواقع ان الحق كان بجانب اوزنام .

كما ان غيرته وجرأته لم تكن تعصباً ذمياً ورجية تضيق بكل فكر جديد . فقد كان في مقدمة من يقبل الافكار التقدمية الصحيحة والدعوة الى الحرية التي تتفق مع الانجيل . وما اكثر الحريات التي تتفق مع الانجيل . بل التي تنبثق من تعاليمه كما ينبثق الماء الصافي من ينبوع الفني السخي . وقد صدقت شهادة لا كوردير بانه كان من العدد القليل من كتّاب الكاثوليك في تلك الحقبة الذين ظلوا موثوقاً بصدق عقيدتهم حتى النهاية وكانوا مجداً للكنيسة .

- ٧ -

شهر اوزنام باعمال الرحمة والمحبة المسيحية وبتأسيس شركة القديس منصور دي بول وسهره مدى حياته على تقدمها وتوسعها ، اكثر مما شهر بساتر فضائله وصفاته واعماله . ولا عجب وهو القائل - من بين الكثير من اقواله - : « وددت لو طرقت الدنيا باسرها بشبكة من اعمال المحبة » .

والكلام على ذلك المظهر من حياته يستغرق من الصفحات اكثر مما يسع المقام الآن . وانما نذكر هنا كلمة واحدة من كلماته تروينا ان عمل الخير لم يكن في نظره الا نتيجة من نتائج ذلك الايمان العظيم الذي كان يغمر قلبه المسيحي الكبير ؛ وان كل مؤسسة اجتماعية او خيرية تظل ضئيلة في هدفها ووسائلها اذا « شركة » اوزنام التي تضع الفقير الى جانب الثني في كفة موازية لانه مثله ابن لله الآب موزع الخير والصلاح .

قال في احدى رسائله : « هدفنا الرئيسي لم يكن مساعدة الفقير فقط . لا . لم يكن ذلك سوى واسطة . هدفنا الرئيسي كان حفظ ذاتنا ثابتين في الايمان الكاثوليكي ونشره لدى القريب بواسطة اعمال المحبة » .

- ٨ -

منذ مطلع الشباب - كان اذ ذاك في السابعة عشر من عمره ا - وضع اوزنام منهاج العمل الذي قرر ان يتبعه في حياته للدفاع عن الايمان المسيحي واعادته سليماً الى نفوس ابناء عصره .

وليس يهنا ان يكون استطاع تحقيق ذلك المنهاج بكامله او في بعضه . واقل ما يمكن ان يقال فيه ان تنفيذه يقتضي جهود عشرات وعشرات من الاشخاص المجاهدين المتفانين اذا عملوا فيه حياة كاملة . فكيف به وهو فرد لم يعيش نصف عمره ا .

الذي يهنا ان ارادة هذا الرجل الجبار ومقاصده السامية لم تكن مجرد رغبات نظرية باطلة . وانما كانت ارادة مدركة فعالة تعرف القصد وتخفي اليه دون تلكؤ منها كلف من تعب . وقد عملت منه رجل عمل قلما عرف مثله . اذ في نظره « لا يحق للمسيحي ايأ كان ان يتضي حياته في الراحة بطالاً يدها في جيوبه لا يعمل شيئاً في سبيل دينه وعقيدته ، بينما يرى الجنود يموتون في الحنادق في سبيل الوطن ، والمرسلين يعانون الذل والشقاء في البلاد النائية في سبيل الحضارة . »

ومن اقواله الجديرة بتأمل ابنا « بصرنا : يجب على الكاثوليك الايضوا الوقت في التباغض والتناحر في سبيل خزيات ومائل تقبل الجدل ولا يضر في جوهرها خلاف ظاهري » .

وقد عمل وجد وجاهد . ولم ينل النجاح الذي ناله الا بالتعب والنشاط . كان يقضي يومه . واصلاً الليل بالنهار في تهيئة دروسه وكتابة مقالاته وتوجيه رفاقه وتلاميذه . حتى هدم صحته في سنوات قليلة . ولو انه احب ان يعيش عمراً طويلاً في الراحة والرفاهية لما مات في الاربعين ، والكنيسة في اشد الحاجة الى امثاله .

ولكن لا بأس . ان حبة الحنطة ان لم تمت بقيت وحدها . ولكنها ان هي ماتت تبث حياة اخصب وتعطي بدل الواحد ثلاثين وستين ومئة .

- ٩ -

على ان الله تعالى مصدر كل عدل وينبوع كل محبة . لم يترك ذاك الايمان الامل والمحبة العتيقة والجهد اخلاص في خدمته ، دون مكافأة وتعزية حتى على هذه الارض .

ففي المجتمع نال اوزنام ببلاغته السامية واخلاصه التام نجاحاً علمياً وتقديراً لدى زملائه وتلامذته فوق ما كان يظن ويرجو هو نفسه . فكانت دروسه ومحاضراته احب شي . الى قلوبهم يقبلون عليها اقبالاً منقطع النظير ويقاطعونها بالتصفيق مرات ومرات . معجبين بتأنيده خلق صاحبها ورسوم عقيدته وغزارة علمه . ولم يكتفوا بفضولهم لتغيب استاذ او تخلفه عن الصف غير الاستاذ اوزنام حين يضطره ثقل المرض الى التخلف . حتى لقد اضطر مرة ان يقوم من فراشه ويحيي الى الصف مستنداً الى اكتاف اصحابه ليلي رغبة الطلاب . فبلغ في تلك المحاضرة اسمى درجات البلاغة والجماسة . وكانت آخر دروسه .

ومكافأة اخرى اثن من التصفيق والنجاح الدنيوي . بل اثن من النجاح المعنوي في خدمة الدين وعمل المحبة . عنيت ذلك السلام الذي نعم به طول حياته . سلام وطمانينة في عياله ، سلام وطمانينة مع الناس ، سلام وطمانينة في حياته الداخلية . وفي الحقي ، من الذي يستطيع ان يكون عنده ايمان مثل ايمانه واستسلام بين يدي العناية الالهية مثل استسلامه ومحبة مثل محبته ، ولا يكون السلام منتشراً في كل جوانب نفسه ؟ وكان هذا السلام ينمو عنده كلما تقدم في السن حتى بلغ الذروة العليا في ايامه الاخيرة . فقد احتمل اوجاعه وانتظار موته بهدوء ورضى يكاد يشبه النبطة . وقد اجاب يوماً بهذه الكلمة البديعة الرفيعة على سذاجتها . وكان بهض ذويه يشجعهم الا يخاف من عدل الله ورحمته : « كيف اخافه وقد طال ما احببته ! » .

•

اما المكافأة الصحيحة الجديرة بمجهاده والتي منحه الله اياها في عالم الراحة والحقي والنور بعد انطلاق نفسه من رباط الجسد ، فذلك سر من اسرار رحمته وجهه الالهيين . والكنيسة ما تزال تصلي ليظهر الله للناس ، متى رأى موافقاً ، سر حياة هذا الرجل البار ويسمح باعلان قداسه .

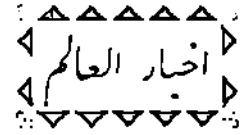
- ١٠ -

اذا كانت شبيبة عصرنا وبلادنا في حاجة الى فضيلة من الفضائل فغدا حاجتها الى مثل ايمان اوزنام العميق المشر . واذا كانت تشمر بالفراغ يعض حياتها ويدفعها الى السأم والقلق والحسول فلانها اهملت الرجوع الى المثل العليا التي تحيي . من فوق ونجحي . معها بالنور الذي يري الحقيقة ناصعة ويحيل الشك ايماناً والملاذ رسوخاً ، والقوة التي لا تستريح الا في النشاط ولا تعمل الا في الفلاح ، والمحبة التي تسر بالتضحية والبذل ، بعيداً عن اللذة الرخيصة والغبطة الكاذبة والفرح العابر السريع التارك وراءه سيلاً من الاسئلة التي لا تجد جوابها الا في محبة الله والاقبال على عبادته وقدرته :

ولعلّ مثال اوزنام - وما اقرب ايماننا من ايامه ا - يكون لهذه الشبيبة المثال الحافز والدأبى المجاب والمصباح الذي لا يذهب ضياؤه سدى .

بيروت ٦ كانون الاول ١٩٥٣





اخبار دينية

روما : يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ايار المقبل تُقام في روما في ساحة القديس بطرس حفلة اعلان قداسة البابا الطوباوي بيوس العاشر . هذا ما اعلنته جمع الطقوس بعد ان وافق عليه الحبر الاعظم
ثم في غداة ذلك اليوم يقدم احد الكرادلة للمرة الاولى الذبيحة الالهية اكراماً لهذا القديس الجديد في كنيسة القديس بطرس بحضور قداسة البابا
* في اواخر شباط بدأ مجمع الطقوس البحث في قضية تطويب الاب شربل مخلوف المولود في بفاع كفرا سنة ١٨١٨ والمتوفي سنة ١٨٩٨ وهو مدفون في بحمة مار بطرس وبولس في عتابة .

فرنسا - مشكلة الكهنة المال : اجتمع اساقفة فرنسا في اليوم الخامس والعشرين من كانون الثاني للنظر في امر الكهنة المال فحددوا موقف الكنيسة فيه واعلنوه رسماً في نقاط اساسية خمس وهي :

١- أولاً : ان الاساقفة مُدعوون على تخصيص كهنة باعمال الرسالة الكهنوتية في اوساط المال بالتعاون مع كهنة الرعية والعماليين المتعاضدين

ثانياً : ان التجربة التي قام بها الكهنة المال لا يمكن ان تدوم على حالتها الحاضرة
ثالثاً : فطالب الكنيسة من الكهنة الذين تخصصهم بالاوساط المأهولة ان لا يشغلوا من الان فصاعداً الا وقتاً محدداً وان لا يهتموا مع اصحاب العمل الا زمن محدد

رابعاً : سب تحديد وقت العمل هو الضرورة التي تفرض على الكهنة تقديم واجبات الصلاة وارساله وهي واجبات تفيدوا بها عند قبولهم الكهنوت

خامساً : يطلب الاساقفة من الاكابر وسائر المؤمنين ان يصلوا لاهل الكهنة المال فيفتح مما سبق بانه منذ الان ليس بد في فرنسا كهنة عمال لكن كهنة رسالة المال .

الهند وحرية الاديان : كان الدكتور كانبجو وزير داخلية الحكومة المركزية في الاتحاد الهندي قد اعلن في خطاب له متكلماً عن المراسين بانه : اذا كانت غايتهم بتحيتهم الى الهند الاصحاب على التبشير بالانجيل فالاصل ان يكفوا عن ذلك باقرب وقت . هذا الكلام اقلق اذ ذاك المراسلين وحل الهندوسيين - المطالبين لبلادهم باسمه « دم ريج » - اي دولة هندية بحتة - على الظن بان الوزير بجاهرته هذه قد اعلن استعداده لمساعدتهم على اقام توابعهم .

ثم حدث بعد ذلك ان مسيحيين من التبوذيين في مدينة كلورا اضجروا عرصة لاضطهاد

حقيقي. من قبل اسحاب النسل ومع الوزير حمر هذا الاضطهاد فانظر حينئذ استياءه من هذه الممارسات اخائرة وارسل كتاباً الى جمعية دلمي المسيحية يؤكد فيه حق كل وطني هدي بالنسك بالديانة التي اختارها وبما رتبها وشرها بحرية تامة فاذا حدث ان شخصاً ما او جماعة او منظمة تعدى على اي كان ، قصد اجباره على النخلي عن ديانه واعتناق دين آخر كان عمله هذا ذنباً وجريماً . وزاد على ذلك قاتلاً : لقد بانني ان قوماً من الميثوديس في قري عديدة قد اعتنقوا الدين المسيحي فاني لا اعتبر ذلك الا امراً يخصهم هم وخدمهم وليس لاحد الحق بالتدخل في حياتهم الشخصية او اجبارهم على تغيير دينهم .

ابطاليا - دسمان صررة العذراء في سيراكوز : بخصوص هذا الحادث المريب هوذا اعلان اساقفة صقلية الرسمي : في شهر كانون الاول عقد اساقفة صقلية اجتماعهم السنوي في بئريرة (بالرو) فاطلعوا على البحث الكامل الذي قدمه السيد ايتوري باداتريني رئيس اساقفة سيراكوز في حادث دسمان صررة قلب مريم الطاهر في مدينة سيراكوز بتاريخ ٢٩ و٣٠ و٣١ آب واليوم الاول من ايلول من هذه السنة (١٩٥٣) . وقد فحصوا بكل اهتمام ما جاء في هذا البحث من شهادات ومن اثباتات اصلية فاجموا على ان حادث الدسمان صحيح لا يشك فيه وهم يبدون فكرة الاسراع الى تشييد معبد للذكرى .

اخبار عالمية

مؤتمر برلين : دام المؤتمر من ٢٥ كانون الثاني الى ١٨ شباط وقد ضم وزراء خارجية الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبريطانيا العظمى واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ومم السادة : فونر دالس وحورج يدر وانطون ايدن وقيانثيلاف مرونوف . كانت غاية المؤتمر الجوهرية حل قضيتين اساسيتين : الاولى توحيد ألمانيا باجراء انتخابات نيابية حرة لتوقيع معاهدة الصلح معها - الثانية توقيع معاهدة الصلح مع النمسا . وقد خاب غاملاً امل كل من كان له امل في نجاح هذا المؤتمر . ولا عجب في ذلك فغايات الشرق السوفياتي والاتحاد الغربي مختلفة ومتناقضة متناقضة . فان روسيا السوفياتية تظهر مصبسة على التمسك بنفوذها وسيطرتها الشيوعية على ألمانيا وضمتها اليها كباقي الدول الصغيرة التي فتاورها كبولونيا مثلاً . وهي تخاف من وجود دولة المانية موحدة مستقلة ومن امكان انقائها مع الحرب بعدها . اما الغربيون فقد يكرهون اقوال الى هذا المؤتمر ارضاء للرأي العام وليظهروا انه لم يان روسيا هي وحدها المسؤولة عن حالة أوروبا الشاذة وهم لا يتوقعون من اجتماعهم نتيجة عملية حليلة .

فرنسا : لم يتوصل البرلمان الفرنسي الا بعد ثلاث عشرة دورة الى انتخاب الرئيس الجديد للجمهورية وهو السيد رينه كوتي احد اعضاء مجلس الاعيان . وقد تم هذا الانتخاب في ٢٣ كانون الاول . حاز المنتخب سبعة وسبعين صوتاً واربعة وهي الاغلبية المطلوبة ، وقبول انتخابه يرضى شامل ، وهو الرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية الرابعة .

السودان - انتخابات المجلس التأسيسي : جرت هذه الانتخابات في بدء كانون الاول

من السنة المصرية حسب الاتفاق المبرم بين الكائنا ومصر، وقد فاز فيها حزب الاتحاديين
١٢ كرسياً وحزب الأمة ٣١ والمستقلين ١٢ وأحزاب أخرى ١٣ .

هذه ملاحظات حريصة « لندن برس برس » الانكليزية بتاريخ ٦ كانون الاول في
هذا الانتخاب : ان نجاح حزب الاتحاد يمكنه من تشكيل حكومة لا غير . فان اسبابه
ليس الا « مساعدة قبيلة الحاطية لهذا الحزب بغاية توصيلها الى تسلم زمام الحكم لمقاومة القبيلة
المهيدة المعادية لها والتي عاهدت حزب الأمة . لذلك فتناق القبيلة الحاطية مع حزب الاتحاد
لا يدل قط على انها متفقة معه على الانضمام الى مصر » ، والى الآن لم يبدأ شيئاً . لا يدل على انها
تريد الاتحاد مع مصر على اي شكل كان خصوصاً لان التحزيب لها اعطوا في فرصة الانتخاب
رغبته في التوصل الى الاستقلال التام .

بقي اذن للمجلس الجديد مهمة تحديد الحكم الذي يريد له البلاد من استقلال او اتحاد
حسب ما قررت ذلك المعاهدة المصرية الانكليزية في شباط سنة ١٩٥٣ .

سوريا : في ليلة ٢٥ من شباط الجاري اضطرّ الرعي الشيكلي الى تقديم استقالته من
الرئاسة الاولى عقب ثورة الجيش عليه في حلب وحمص وحماه واللاذقية وحوران ودير الزور
ولم يلبث ان غادر سوريا الى لبنان مع عدد من الضباط السوريين وعقب الاستقالة اجتمع
قواد المناطق الثائرة وعينوا السيد هاشم الاناسي رئيساً شرعياً للدولة .

مصر : كان اللواء نجيب منذ زمن على اختلاف دائم مع اعضاء مجلس الثورة خصوصاً
بعد اتخاذ مناورات خطيرة منها تقديم زعماء مصر السياسيين الى محكمة الثورة وحل جماعة
الاحوان المسلمين فانه كان يلج في مطالبة سلطات مطلقة واسعة ضماناً لحياته ومستقبله . فلما
رفضت عليه عزم على اعتزال السياسة وكان قد قدم استقالته منذ ثلاثة ايام ولكنها لم تفلح
رسمياً الا في الخامس والعشرين من الشهر . وبعد نجاح الثورة برئاسة الوزارة الى الينباني
عبد الناصر وفي منصب رئاسة الجمهورية شاعراً الى ان ينتخب صاحبها حسب القوانين الموضوعه

نبيه هاشم :

عقدت جمعية « Görre-gesellschaft » - التي تهتم بتنشيط الانجاث
والتنقيات العلمية في المانية - من الثاني الى الخامس من تشرين الاول سنة
١٩٥٣ اجتماعاً في مونستر (أوستفالي) قررت فيه مواصلة سيرها واسترجاع
نشاطها العالمي في المعيد الشرقي في اورشليم في مركزها الخاص « اريس القديس
بولس » وعزمت على ان ترسل في السنة ١٩٥٤ واحداً من اعضائها الى اورشليم
ليتم بدروس جديدة في حقل الآداب المسيحية الشرقية .

وقد ضمت اليها الجمعية منذ سنتين فرعاً جديداً لدراسة الشرق المسيحي .

مطبوعات شرقية

JOSEPH SCHACHT : *Esquisse d'une histoire du droit musulman* — traduit de l'anglais par Jeanne et Félix Arin 1952. — Librairie orientale et américaine, Paris.

لقد قام الاستاذ شاخت ، وهو من اشهر المشرقين المصريين ، بدراسة مسئلة من ادق المسائل واغضها في تاريخ الشرع الاسلامي وهي بيان نشأته وكيفية تكوينه في طوره الاول . ولئن قعدت الكتابات في صدد هذه المسألة فلا يظهر لنا انه قد جيء حتى الآن وبصورة شاملة بأراء سديدة ومبتكرة مستقاة من الاصول التاريخية نفسها كما هي حال هذه الدراسة الجديدة . ومن ابرز مميزاتا انها اوضحت كيفية تكوين العناصر الاولى لهذا النظام القانوني الذي عرف من ثم باسم الفقه او الشرع هذه العناصر المستمدة من النظام القانونية التي كان معمولاً بها في البلاد التي استقر فيها الاسلام وانتشر ، وان هذه العناصر لم تندمج في بعضها البعض لتؤلف مجموعة متأسكة وموحدة الا في طوار لاحق حيث تأثرت بالتأثيرات الدينية الاسلامية واتخذت بالتالي طابعاً دينياً ظاهراً .

واوضح الاستاذ شاخت ان الاصول الرئيسية للشرع الاسلامي كانت نتيجة عمل واجتهاد استمر طيلة العهد الاموي . فيقول المؤلف ان « الدولة الاموية بعد فترة اضطرابات الخلافة في المدنية قد عمات ، من نواح عدة ، على تنمية امكانيات كانت من طبيعة الملة على عهد النبي . فعلى هذا الاساس بني الشرع الاسلامي » (ص ٢٠) . ولقد كان اصطباغ انشراح — وهو في دور تكوينه — بالصفة الاسلامية من صنع الفقهاء ولاسيما القضاة منهم وهم الرجال المتدينون الذين اشبعوا الشرع من الافكار الدينية والادبية وانخضروه لقواعد الاسلام (ص ٢٣) : « فمن الوجهة التاريخية ان الشرع الاسلامي لم ينشأ مباشرة من نصوص القرآن افا كان مبدأ غيره مرتكزاً على عادات واصول متبعة كانت في كثير من الاحيان مخالفة لروح الكتاب او لنصوصه . نعم ان بعضاً من النظم ربلاخص فيما يتعلق بالعائلة والميراث وباصول ممارسة الدين كانت منذ

البد، مستفاد من القرآن . ولكن ما عدا هذه القواعد الأولية ان الاصول المستمدة من القرآن قد ادخلت في الشرع في طور لاحق » (ص ٢٥ - ٢٦) .
 ونة ايضاحات قيمة لما يسونه « غلق باب الاجتهاد » (ص ٦٥) لمعنى الاجماع (ص ٢٧) كما ان هناك عرضاً واضحاً جامعاً لعمل الفقهاء في عهود تطور الشرع على مر العصور . و اشار ايضاً المؤلف الى « المجهود الذي ظل بدون طائل » الاعتراف للسلطة بصلاحيه سن القوانين في السنين الاولى من العصر العباسي (ص ١٩) .

وفي القسم الاخير من كتابه بين المؤلف ما آل اليه الشرع الاسلامي عندما اعترضته مقتضيات الحياة الحديثة ودخل تحت تأثير عوامل الافكار والقوانين الغربية كما انه اشار الى الجهود الكبيرة التي اتي بها الحكومات والمشرعون لماشاة هذه الظروف الجديدة ، هذه الجهود التي كان من نتيجتها في كثير من الاحوال ان تعدلت بعض من الاصول القديمة تعديلاً كلياً تحت ستار خارجي من المحافظة على التقاليد الغابرة .

اميل تيان

منير وهيبه

السلطان على المذات

مكتبة صادر بيروت سنة ١٩٥٢ ، ص ١٦٢ قطع متوسط

لقد اودع الكاتب مؤلفه كثيراً من آرائه حول دراسة الارادة وما ينتابها من غلغلة . وبحول شتى العلاجات لشغافها بلغة صريحة واضحة .
 واذا اوضح هذا الكتاب امراً فانه يوضح مبلغ تضلع الكاتب الذي استطاع ان يتقن بنا كافئاً في تزمة استطاب عبر المسائل النفسانية المعقدة ،
 فهو لم يستنكف عن ابداء وجه نظر بلغة سهلة جلية كلما رأى به حاجة الى ابدائها ، ولئن كان على اطلاع بآخر النتائج التي بلغها علم النفس التجريبي فقد دأل على روحية لا مندوحة عنها في هذا الصدد .
 ولقد خشنا ان يغيب عن انظارنا الانسان الذي تدرسه لتعامله كأنه حيوان قد أءن للتشريح .

وما كان أشدنا رغبة في ان نرى من وقت الى آخر اصدار حكم منبثق من الفلسفة الروحية الصحيحة على نظريات فرويد وجانسه ويونغ ، واننا انتقم على هذا الحكم المستند الى الداسفة الروحية ونجده في جميع الكتاب عندها .
يعرضه الكاتب علينا بحسب طريقته في النظر الى الامور .
————— وعلى كل لا مندوحة لمن يريد السير الى الحد الامام في معرفة نفسه عن قراءة
فصوله الثمانية والاطلاع عليها .
١ . ع . خ .

الحديث المقتضب في ترجمة اكبر زعيم لبلاد الذهب

بقلم حبيب السيوفي

المطبعة البولسية ، لبنان ١٩٥٢ ، ١٢٦٢ ص قطع متوسط

انه تاريخ فقط قد درونه شاهد قضى سنوات عدة في المكان الذي يوزج له فوصف بدون تكلف تقلبات نضال لم يكن من دون مجد .
واننا لننسى في كل سطر من سطره اعجاباً لا ببل كلفاً يبطله .
ولقد كان يسرنا ان لا يطغى من وقت الى آخر هذا الكلف على الحقيقة التاريخية .
١ . ع . خ .

الاخوات الحزينات

بقلم نجاتي صدقي

دار المعارف بمصر ١٩٥٢ ، ١٢٦٢ ص قطع متوسط

هو كتاب من مجموعة ثنائي عشرة قصة تتفاوت في طولها وقصرها تفاوتها في اتقانها . بيد ان هذه القصص تتم بيساطتها وواقعتها لان الكاتب اراد ان يقول الواقع كما هو . اجل اننا قصص موضوعها الحب وفيها من الامور النفسانية ما لا بأس به : حماسة في البدن وانقشاع غشا ، الوهم في النهاية من دون ان يتوسطها امر معنوي في كتابة الغزلة . بل لم يشأ الكاتب اللجوء الى ذرائع الالهة الكبرى وانما رأى الحياة الهوة بذاتها او اذا رغبنا في القول انما مدعاة الى الشفقة .
١ . ع . خ .

WOLFGANG LENTZ • Iran, 1952 Heidelberg 1952. 12 pp. Kurt Vowinkel Verlag.

هو كتيب صغير يتضمن معلومات كثيرة قيمة عالية حسنة التنسيق ، قد تناول في بحثه قضية البترول التي شغلت العالم في الايام الاخيرة في غضون النزاع الذي نشب بين انكلترا وايران .

ويجد القارئ في هذا الكتيب تفاصيل دقيقة حول اقتصاديات ايران وتطور سياستها التاريخي .

وليس من تخير في ما يسطر هذا الكتيب من اقوال واضحة وقد ذيل به المؤلف بمخرائط جغرافية صغيرة تحول القارئ متابعة تطور فكرته .

J. RENÉ, S.M. : *Les Origines de l'humanité d'après la Bible, mythe ou histoire ?* — E. Vitte, éditeur, Lyon, Paris 1950, 158 pp.

لقد افرغ المؤلف معلوماته الثمينة في قالب يتسم بميزات مصنفاته كلها ولا سيما محتفه على الكتاب المقدس . فهو كتاب واضح الديباجة رصين وغزير المادة حديد النقد .

ولقد بلغت جرأة صاحبه الى ان يقرر احياناً موقفه حيال حركة فكرية برمتها . اما الجدير ايضاحه في هذا الشأن فدأب المؤلف في التنقيب عن المعنى الروحي في العهد القديم وبخاصة في الاحد عشر سفر الاولين التي تشكل على القارئ وتفسح المجال لاملاعات استفهام عدة .

وردد المؤلف في كتابه سلسلة من المحاضرات بشكائها البسيط ولتها المحكية ما اثير من المسائل وتوصل تقريباً في جميع حلواه الى الحل المألوف المقول عادة به اليوم . اما اذا كان هناك مجال يسح له بان يختار رأياً من بين الآراء . فقد اكتفى بالاملاص اليه من دون ان يتخذ له موقفاً خاصاً . اما فيما يتعلق بوحدة اجناس البشر وتمدد اصل اجناسهم فلم يتحفظ المؤلف بجديد . وانا ذكر علوماً عديدة اجمعت على القول بوحدة اصل البشر ، هذه الوحدة التي نصب نفسه مدافعاً عنها والتي قوضت بعد براوة قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر (*Humani Generis*) دعائم موقف الحشم اذ انه ليس الا فرساً محضاً .

واننا لنطوي هذا المصنف وفي النفس حيرة .

١. ع. خ.

M. ELIZABETH CROUSE : *Les Grands Thèmes de la Bible*. Édition Fischbacher, 33, rue de Seine, Paris, 1951. 411 pp.

يسمنا ان نتلخص من مقدمة الكتاب المعلومات التالية حول حياة المؤلفة وعلى اصل الكتاب . فاري اليزابت « Mary Elizabeth » قد رأت التور في فيلادلفيا من اعمال انولايات المتحدة الاميركية من اسرة تنشي بغربيا من جهتي الاب والام الى فئة المتوديست « Méthodiste » الشديدة التنطس ... فقد اجتذبا دائما كل ما يتصل بالتوراة بصرف النظر عن كل معتقد، فني عام ١٩٤٠ اصدرت كتاباً في انكلترا بعنوان :

« The Making of the Book : The Story behind the Bible »

وقد رسمت تاريخ تكوين التوراة وبخاصة العهد القديم . اما ترجمته الفرنسية التي شرعت بها السيدة ربول « Madame Reboul » فتوقفت فجأة عن ان تتم عقب جلاء الفرنسيين و وفاة هذه الاخيرة . ففضلت الانسة كروز « Crouse » بدلاً من انجاز الترجمة ان تضع كتاباً جديداً بالفرنسية « مباحث التوراة الكبرى » استندته من مؤلفها السابق ولكن بشكل جديد .

وهذه هي اقسامه الثلاثة الكبرى التي اعلنت المؤلفة عنها في المقدمة (ص ٢٩) « يبسط القسم الاول من كتابنا وفقاً لمرجى الازمنة دراسة تاريخ التوراة ويجمل كل بحث ناجم عنها في موضعه ويبين كيفية تطور الفكرة التي اوجدتها الاحداث . ومن ثم نرى هذه المباحث قد استخدمت حلقاتها في كتابنا على شاكلة ١٠ هي عليه في العهد الجديد لتتكرر بتغيرات واصدا . لا نهاية لها حتى يطرد سياق تماسكها « بانسجام » الى ان تصل اليها . وتطيف فلسفة المسيح في كل شي .

وتصادى الكلام ان المباحث الالهية تجتمع حول المسيح وحول ما يتراى من خلال تاريخ التوراة .

الجزء الاول : « العهد القديم وميثاق الشريعة والتاريخ الحقي » يحاول ان يرسم مجدداً مرمى التاريخ ، تاريخ الاحداث وتاريخ الافكار وهو اعادة الكتاب الاول . « The Making of the Book » .

وتجهد المؤلفة جهدها لتضع مختلف كتابات التوراة في بيئها التاريخية .

وليس حق من ذلك عملاً ولكن لا مندوحة لنا عن ان نضيف قائلين ان هذا التوسع المسهب المتعاق بالماضي (والملاحظة المسببة على مخطوطات صحراء يهوذا المكتشفة حديثاً) يكاد ينصرف بنا الى التحول عن الموضوع وذلك لكي لا نقول شيئاً عن الافتراضات لتخمين الماضي كما كان . فالتقاربي بعد ان يتصفح ال ١٩١ صفحة (وهي زعما نصف الكتاب) يوشك على نسيان البحوث المختلفة المشار اليها هنا وهناك . اما مبحث المسيح وهو مركز القطب فكان من الافضل الاستزادة بابطاحه .

ففي اثناء مطالعتنا للصفحة ١٩٥ نقع على ما يلي « ما اكثر المرات التي سُرَّ بها بالمسيح - الطفل الموعود به الذي كان عليه ان يحكم اسرائيل والعالم برومته - الملك المتحدّر من نسل داود » اجل ليس باصح من هذا القول بيد اننا لم نشبهه واضعاً كل الوضوح في الصفحات السابقة مع ان مجال الكلام كان متداً حول توسيع القول حول رجاء مجيء المسيح المخلص في العهد القديم وبخاصة لدى الانبياء . فهذا البحث في التوراة هو من المباحث الاساسية وعظم الاهمية اكثر من التمييز بين الحرفية والروح في السياق النبوي (اشعيا وعزقيال) . هذا التمييز الذي اهتمت له المؤلفة . واننا لنخشى ان تكون ثقافتها في التوراة « بصرف النظر عن كل الاديان » قد اثرت على احكامها في هذا الباب كما في الكثير في غيره التي عاجلتها في كتابها فاتها لتطلب ابضاحاً اشد تفصيلاً وعمقاً في مناقشتها .

والقسم الثاني : « العهد الجديد وميثاق المحبة والمباحث في حلولها » يفرض افراطاً اعظم في ترك رجة النظر التاريخية في موضعها اي في المرمى الثانوي وربما في ما خلا الصفحات الخمسين المخصصة بالقديس بولس ، اذ ترى المؤلفة نفسها انما اشد ارباحاً لتوسيع موضوعها ، مباحث التوراة : مبحث التجربة (تجربة يسوع في البرية هذه التجربة التي اختارتها المؤلفة لتسير كل مهمتها ولتستنبط منها الاهمية كل الاهمية) ومبحث الملكوت (المفهومين الارضي والروحي) ومبحث الذبيحة والخلاص واننا لو اجدون في هذه المباحث لوحات رائعة قد أحكمت الاحكام كل الاحكام (كوصف تجربة يسوع ص . ٢٠٣ - ٢٠٦) ومقارنات مبتكرة كما هي بين « الشوك الذي يرمز

الى اللعنة التي جلبها ادم على نفسه مثلاً (تكوين. ف ٣، ١٧ - ١٩) وبين اكليل الشوك الذي وُضع على رأس يسوع في اثناء آلامه (ص ٢١٧) ويسمنا القم الثالث «اصدا» هذه المباحث نفسها التي لا نهاية لها وهي «لا تزال مدويةً بمذوبة يعجز دونها الوصف عبر الاجيال - حتى الان» (ص ٣٠٠).

وفي مثل هذا المقام باستطاعتنا تقدير مواهب المؤلفة الشعرية اكثر من تقديرنا لها في القسم الثاني.

وهنا خلاصة الفصل ذي العنوان «الكأس المقدسة»: «لقد كانت ذبيحة يسوع الشن الذي دفنته - عبارة محبة الله الاخيرة بنفسها - لتخليص الانسانية المحبوبة. ولقد انتقطت الذبيحة عن ان تكون ذبيحة مذ اوتيت الظفر فاشرفت حقاً الكأس المعدة للشرب وهي تشع بمذوبة المحبة . . . كالازهار المشرقة نحو الشس تفتح كتها بمحركة هي الصلاة لتبتدئ نوراً فكذلك الانسان المطهر، الانسان مع المسيح وهو الذي اجتذبه المحبة، فيرفع كأس قلبه ليفوز بهالة جمال هذه المحبة في جميع كمالها» (ص ٣٠٢ - ٣٠٤).

«ان فلسفة المسيح تطيف في هذا الكتاب» الذي يقوم غرضه الرئيسي على تحليل فلسفي وجيز عصري لشعر الكتاب المقدس العميق (المقدمة ص ٢٧). ومن المستحيل تلخيص فكرة المؤلفة هنا خشية ان نشوهها فلذلك نفضل ان ندع للقارئ امر الحكم بشأنها.

وان نقطة الانطلاق اولاً هي «الحلم الآدمي». ومن ثم ملحوظة تنبهنا الى ان رواية ادم التقليدية تختص بعهد الاساطير حيث لم يكن الزمن موجوداً وحيث كان العالم في طفولته ليتخذ عن طريق الخدس انطباعاته ويعرب عنها بروايات كاقاصيص النبلان - اما في روايات التبرانيين البدائية هذه فنقدم حقيقة - مستورة احياناً - هي اعنى من الوقائع واحق منها . ولقد اردت المؤلفة تقول : «لقد نام ادم واننا نتبع الحلم فانه لم يُقل ان الرجل قد استيقظ. وفي حالة الحلم هذه التي اصبحت الحياة الانسانية فان خطيئة ادم - التي تشمل على كل خطيئة - هي المعصية والاعتقاد انه بمقدوره ان يكون شيئاً اخر غير انمكاس الخير المطلق الوحيد والمطلق . وبعد ان اصفى الى اياما.

الحية وهذا هو الضلال الاول - توهم ان ثمة سلطة اخرى اعتقد هذا الانسان انه واجدها تحت اسم الشر . . . ويبدو ان احساسه المادي قد جعل احساسه الروحي قاحلاً . حتى لما رأى نفسه ككائن مادي وجد ذاته عارياً من الحقيقة الواقعية وبجراً من ثوب عفافه الناصع التبر فشر بعريه وتلاشه وعدمه فاعتراه الخوف بهذا الشعور الكاذب بنفسه .

وعندما اعتقد انه حر أي منفصل عن الله حاول الاختباء من وجه الاله

(ص ١١)

واهاب به هذا الشعور الكاذب الى الاعتقاد « ان حياة الكائنات الفردية لا تقوى على الاستمرار ما لم تأخذ شيئاً من حياة غيرها - فكان في هذا المقام مصدر اقتناص الفريسة والتنازع على البقاء على نفقة الغير ، هذه هي شريعة القاب ، وهي غير الشريعة الاخلاقية ، وانها ستستمر في مواصلة الكفاح الاتاني المادي في سبيل احرازها الظفر الى التقاطع العظيم ونهش الاعمى بعضها لبعض . . . ونحن ما برحنا نعيش في العصر الآدمي على الارض ، انه لهد سيطرة القوة (ص ١٣) .

ولقد استمددنا هذه الفقرات من مبحث ادم الذي يفتح القسم الاول من كتابه الانسة كروز . . . ويفيدنا القسم الثاني ان مهنة المسيح تقوم حقيقة على انقاذ هذا الشعور الكاذب « بايقاظه من حلمه » فالمسيح الابدي « الصورة المرسومة » الانساني الكامل في الفصل الاول من التوراة هو الدوا . الدائم « الممد من ذي قبل » ضد ادم والمفهوم الخاطئ والتقاطع والانقسام . ولقد كان من اللازم ان هذا المسيح الاول هو فكرة النبوة والانبيا والاول من الله بشكل انسان كامل يقاوم كل تجارب حلم الحياة الانسانية ويذل بتضحيته اشنع حنة الشرير في انتصار رائع على الموت لاقتداء الانسانية وايقاظها (ص ٢٣٠)

ويدعونا القسم الثالث الى موازنة هذا الاقتداء بتضحية انانيتنا على غرار المسيح « من دون ان نكون مضطرين الى المرور بتجربة يسوع نفسها فنعرف مثله عميق قرارة البغضا . والموت . فملينا لكي نشاطره بتضحيته ونستفيد منها ان نقدي بثل يسوع ، فنزيل منا معنى الحياة الشخصي والمادي ، وبذلك نستبط مجدداً فرديتنا الحقيقية ، وقد قال يسوع « من اراد ان يخلص نفسه يهلكها » .

« ومن اهلك نفسه من اجلي ومن اجل الانجيل يخلصها » (مرقس ف ٨ - ٢٣)
(ص ٣٠٢) .

واقعد غدا اليوم الحلم كايوس الانسانية والحياة تنين رؤيا يوحنا الانجيلي
(ابركالييس) وهذا الحلم الذي يمثل الايمان بالثانية يسلم بطة ثانية للكون
او بالله مسبب للشر . . . على حين ان يسوع قد حدد الشر بتعريف مفهوم كل
الفهم فوصفه « بالشیطان . . . الكذاب والي الكذب . . . ليس فيه حقيقة
مطلقاً » . فهو الظاهرة الكاذبة للحقيقة ومفهومها الخاطي وانسكاس الخير المطلق
انسكاساً مقارباً - كالجيل الذي يبدو منقلباً رأساً على عقب في بحيرة ، وهو
يشير في الوقت نفسه الى اصله القاتم » (ص ٣٢٩ - ٢٤٤) بيد ان الانتصار
على الشر بات محققاً ، فالتدريس يوحنا في رؤياه قد شهد سلفاً سقوط « التنين
العظيم والحياة القديمة المدعوة بالشیطان او بابليس » .

فهكذا سينتهي النزاع على البقاء الذي يقوم به احساس الانسان بشخصيته
اذ كل واحد يهيب ضد الجميع وعلى غيره في ظل شريعة القاب الكاذبة .
وستضمحل الانانية وستعرض فردية كل انسان الحقيقة عن احساسه الكاذب
(باننا) وبالتخلي عن كل شي - نحرز كل شي . ، وستنجد مع الله ومع - اثر
الناس بالمسيح وسيتم الظفر هنا والآن ويوماً فيوماً ، وان الذي نفتقر اليه
ويعتمد بشيادته ، شهادة المؤمنين (رؤيا ف ١٢ الاية ١١) هو تغيير مفهومنا
للحياة ، لان الحياة لا مادية هنا وفي العالم الاخر ولا سبيل توصفها بذرائع
مادية فالكمال موجود والتقدم المستر بدون انقطاع يتم بتحقيقنا له «
(ص ٣٥٣) .

وصفورة الكلام بالخلاصة ليس ثمت قوتان متعارضتين - الايجابية والسلبية -
فالحقيقة وحدها موجودة - ولا تتغير . والضلال لا خالق له - فهو لا مخلوق
ولا خالق . وبما ان لا اساس له في الحقيقة فلا يستطيع ان يكون له اصل
حقيقي - ولا يستطيع ان يكون سبباً . . . وان ما يعرفه الله هو واقعية
الاشياء . وان ما نعتقد اننا نعرفه هو غالباً ما لا وجود واقعي له . فجنسنا هو
الآن كطفل يرتد بين ذراعي أمه وهو وان كان يأمن فيرقه كايوس الرعدة ،
ويرى نفسه فريداً في غابة يلحق به وحش ضار ، وبوجوده على هذا الشفير

نفسه لا يبرح شاعراً شعوراً كافياً بالحببة المجدية لكي يستنجد بامه ، التي لم ترَ الوحش ولم تدع ابنها يشرد وحيداً في مكان ذي خطر وتعلم انه في حرز حرز لتوقظه .

ولقد اوجت اليّ هذه الاقصوة الوجيزة امراً كثيرة (ص ٣٥٥ - ٣٥٧)
وتمت عشرون صفحة في القسم الرابع ذي العنوان « اليوم » هي كتنيجة قالت فيها المؤلفة ما يلي :

« لا مندوحة لنا اما عن مسيح واما عن ادم . . فالطريق التي ابانها المسيح هي طريق التضحية لنيل المكافأة الكبرى ، فذبيحة الجسد التي رُمز اليها في القديم بذبيحة الاضاحي من الحيوانات قد اتخذت نموذجاً لها وتمجدت بذبيحة يسوع - القربان الذي يمثل اقصى درجة اطاعة « الانا » - لتتم فينا بانتصارنا على الجشع المادي وبذلك تبلغ الفردية الحقيقية في الاتحاد - اتحاد البشر والامم .

ان تعليم المسيح هو البشارة الكاملة بالشرعية الاخلاقية المؤسدة على المحبة فن يارس المحبة يجد بها قوة عملية في الحياة الانسانية .
ويقل هذا التعليم الاخلاقي شريعة الغاب الآدمية التي ما برحت قائمة حتى يومنا لتبلغ ذروتها في عصرنا بطناً الظاهر .

ان سر كل امر - ان مثل التوراة الاعلى - هما اقتداء الانسانية بتضحية « انا » الجليلة في سبل الفردية الحلقة في الاتحاد بصورة الله ، وسيحين انتها .
العالم الذي ينهي الحلم الآدمي على الارض وهو نهاية فكرة الحياة المادية مع جميع مظاهراتها وقتلاها » (ص ١١) .

ونحن في طليعة الذين يقولون ان بتر احد النصوص يجعله خاطئاً واننا نعتقد ان الاستشهادات التي مرت بنا يسعها ان تقدم لنا فكرة تقريبية عما هي « فلسفة المسيح » في نظر الانسة كروز « Miss Crouse » . وليس من اختصاصنا ان نحكم بشأنها . فالتوراة للمسيحيين هي ارث الاسرة الكبير الذي يستحذر كل انسان منها بحسب حاجاته وذوقه ، على حين اننا كنا نرغب في ان نجد الى جانب شعر « مباحث التوراة الكبرى » وفلسفتها استراحة في الايضاح في سبل ايماننا وتقديرة ورعنا .

ل . ب .